قسم اللغة العربية

محاضـــرات

في

علم اللغة – الفرقة الثالثة

إعداد

الأستاذ الدكتور/ عاطِف فكَّـــار

أُستاذ النَّحو والصَّرف والعروض.. ورئيس قسم اللُّغة العربيَّة

و

الدكتورة/ ليلى الطاهـــر

بيانـــــــــات الكتــــاب

الكليـــة:	التربيـــــة
الفرقـــــة:	الثالثة عام
التخصص:	علم اللغة
عدد الصفحات:	
إعـــــــداد:	أ. د. عاطف فكـــــار
:	د. ليلى محمد عبد الكريم

الرموز المستـــــــــــخدمة

 نص للقراءة والدراسة

 أنشطة ومهام

 أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي

 فيديو للمشاهدة

 رابط خارجي

فهرس المحتويات

فهرس اَلْمَوْضُوع	رَقْم اَلصَّفْحةِ
المقدمـــــــــة	
الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات	
أولًا: اللغـــة، مفهومها، ووظائفها، وخصائصها	
ثانيًا: نظريات نشأة اللغـــــــة	
ثالثًا: مناهج اللغـــــــــة	
رابعًا: مستويات اتحليل اللـــــغوي	
الفصل الثاني: نظرية الحقول الدلالية	
أولًا: الجانب النظري.	
ثانيًا: الجانب التطبيقي.	
الفصل الثالث: العلاقات الدلالية	
أولًا: التـــــــــرادف	
ثانيًا: المشترك اللفظي	
ثالثًا: التضـــــــــاد	
رابعًا: الاشتـــــــقاق	
قائمة المصادر والمراجع	

الفصل الآول

(مفاهيم، ومصطلحات)

أولًا: اللغـــــة، مفهومها، ووظائفها، وخصائصها.

ثانيًا: نظريات نشأة اللغـــــــــــة.

ثالثًا: مناهج اللغـــــــــــــــة.

رابعًا: مستويات التحليل اللغـــــوي.

أولًا: اللغـــــة، مفهومها، ووظائفها.

مفهوم مصطلح[اللغة]لغة، واصطلاحًا:

هل كلمة(لغة)عربيّة أصيلة، أم مُعرَّبة؟

ذكر أهلُ اللغة، وأصحابُ المُعجمات أنَّ كلمةَ[لُغة]عربيَّة، أصيلة، مُشتقَّة منَ الفعل[لَغى/ يلغى/ لُغة]، والجمع: لُغات، وعلى هذا فإن كلمة اللغة، واشتقاقاتها تدور حول معنى الأصوات الإنسانيّة، وعليه فإن (علم اللغة)، أو(فقه اللغة)يعنى: فهم الأصوات، وإدراك خصائصها، وهو العلم الذى يتناول مفردات اللغة، وتراكيبها، وخصائصها، والأطوار التى مرت به.

وقيل أن(لغة): مشتقَّة منَ الفعل:[لغا/ يلغُو/ لغوًا]، أىْ: تكلَّمَ، والأصلُ: لُغْوَة: بضمّ ، فسكُون، على وزن: فُعْلَة، ثُمَّ حذف لام الكلمة، وعوض عنه بالتَّاء المربُوطة، فصَارتْ: لُغَة، وقيل: لُغة مُعرَّبة منَ الكلمة الإغريقيَّة[logs]، وعرَّبها العرب إلى[لوغوس]، بمعنى : الكلام واللُّغة؛ وذلك لوجود تشَابه كبير بين الكلمة العربيَّة [لوغوس] ، والكلمة الأغريقيَّة[logs].

جاء التعبير القرآني بلفظ [لِسَان] ثمان مرَّات، ولَمْ تأتِ لفظة[لُغَة] فى القرآن الكريم ولو مرَّةً واحدةً، كما فى قوله تعالى:"وما أرسلنا منْ رسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قومِه" وقوله تعالى:"بلسَانٍ عربي مُبينٍ" وذلك للأسباب الآتية:

أ . وجود تشابه كبير بين الكلمة العربيّة والكلمة الأعريقيّة.

ب- تعبير القرآن بلفظ(لسان)نحو ثمانى مرات، وليس بلفظ لغة، كما فى قوله تعالى:

(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) إبراهيم 4 ، أى : بلغة قومه ، ومنه قوله تعالى :

(بلسانٍ عربيٍّ مبين) على حين أن لفظ اللغة لم يرد فى القرآن الكريم ولو مرة واحدة؛ ممّا يرجح سبق اللسان للغة في الاستعمال العربى القديم.

ج–عدم ورودها فى الشِّعر الجاهلي، أو فى الأدب العربي المنثور قبل عصر الترجمة من الأغريقيّة أي : أن كلمة(لغة) لم ترد مستعملة في كلام عربي يعتد به، ولم يستعملها العرب في كلامهم، وإنما كانوا كغيرهم من الأُمم السّامية، بل كأكثر أمم الأرض يستعملون كلمة(لسان) للدلالة على اللغة

–اللغة عند علماء اللُّغة، والاجتمَاع، والنفس، والمنطق، والفلسفة:

لم يقتصر الاهتمام باللغة على علمائها، بل إن هناك علماء غيرهم كثيرين، اهتموا باللغة لاتصالها بقضاياهم العلميّة، ومنهم علماء الطبيعة، والتشريح، والرياضة، والتاريخ، وعلم النفس، والمنطق، والفلسفة، والاجتماع، وغيرهم قديمًا وحديثًا، ومن ثمّ فقد خصّها الباحثون والدارسون، بالاهتمام والدراسة؛ لذا فسنعرض لمفهومها، وبيان حقيقتها.

فمن تعريفات علماء اللغة:

– تعريف ابنُ جنِّى(ت: 392 هـ)"بأنها" أصوات يعبِّر بها كلُّ قومٍ عنْ أغراضِهِمْ"، ويشمل هذا التعريف مادة اللغة(طبيعتها)؛ فهى رموز صوتيّة أحلها الإنسان بموهبته الخلاّقة محل الخواطر والأفكار؛ وذلك لأن الرمزيّة هى العمل الأساسي فى الفكر الإنسانى، كما يشمل عرفيّة اللفظ، ويشمل اجتماعية اللغة، حيث تنشأ اللغة بالمجتمع وتحيا به، كالنبات يحى، ويثمر تبعًا للترب، ويشمل وظيفة اللغة في أنها أداة للتعبير عن أغراض أفراد المجتمع والجماعة، وقد نقل السيوطي، وابن

منظور، والشريف الرضى، وابن خلدون هذا التعريف، وهذا التعريف يتفق مع الدرس اللغوي الحديث الذى رأى أن اللغة أصوات، وحددتها دائرة المعارف البريطانيّة والأمريكيّة بأنها" نظام من الرموز الصوتيّة، أي أنها هيئة، أو شكل، أو تركيبة خاصّة تتفق عليها الجماعة اللغوية المعيّنة. فاللُّغةُ: أداةٌ للتعبير عنِ الأغراض، والأفكار العقليَّة، والعواطف، والمعاني النفسيَّة، والرغبات، والمطالب الحيويَّة، والاحتياجات الإنسانيَّة؛ فهي وسيلة التفاهم المُعبِّرة عنْ أفكاره، واحتياجاته "والأغراض هي المعاني، والدلالات التي يتناقلها الناس، ويعبرون عنها بالأصوات، والألفاظ؛ فهي وسيله للتعبير عن الأغراض الكلامية"ولما كانت اللغة تتكون من دلالات، وألفاظ حظيت بجانب كبير من عناية العلماء، فنجدهم درسوا هذه الألفاظ ودلالتها، فدرسوا الكلمة منفردة، وموقعها في الجملة، ومعناها عند تقدمها أو تأخرها.

– ويعرفها الدكتور/ إبراهيم أنيس بأنها "نظام عرفي لرموز صوتيّة(الأصوات) يستعملها الناس في الاتصال بعضهم ببعض".

–وعرفها" دوسوسير" السويسرى بأنها "حصيلة اجتماعيّة لملكة الكلام، ومجموعة من الأعراف التي أقرّها المجتمع، وبأنها"دراسة اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها أي دراسة اللغة التي يتحدث بها الناس بالفعل دون تغيير من طبيعتها، ونظمها، دراسة موضوعيّة؛ للكشف، والوصُول إلى حقيقتها دون تصحيح أو تعديل أو تقويم؛ لأنها ليست من مهام الباحث.

-وعرّفها سابير الأمريكى بأنها"وسيلة، إنسانيّة، خالصة؛ لتوصيل الأفكار، والعواطف، والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة إرادية.

-وعرّفها(هنرى سويت الانجليزى بأنها "التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلاميّة المؤتلفة في كلمات.

- وعرّفها العالم الفرنسى"أنريه مارتينيه" بأنها" أداة اتصال يحلل بها الإنسان، ويبرز تجاربه في وحدات كلاميّة ذات مظهر صوتي، ومحتوى دلالي.

- وعرفها المحدثُون بأنها" رموز، أو علامات صوتيّة اصطلاحيّة، تستعملها الجماعات الإنسانيّة في التعبير عن المعاني، وغيرها من شئون الحياة ".

. وقيل: أن اللغة وعاء للأفكار العقليّة، أو المعاني النفسيّة، ووسيلة للتعبير عن مطالب الإنسان الحيويّة.

. لذا نعتبر تعريف ابن جنّى تعريفًا، دقيقًا، وافيًا، مشتملاً على حقائق شتى، منها: أن اللغة أصوات ،إنسانيّة، إراديّة، وظاهرة اجتماعيّة ذات وظيفة اجتماعيّة؛ لأنها تنمو فى أحضان المجتمع، ويعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم الماديّة، والمعنويّة، كل ذلك جعل ابن جنّى في مقدمة العلماء الباحثين عن اللغة وقضاياها المختلفة.

وأن هذا التعريف يتفق مع تعريفات المحدثين للغة؛ حيث إنهم عرَّفُوا اللغة تعريفًا قريبًا من تعريف ابن جنى ...ولقد أحسّ الدارسون للحضارات بأهمية اللغة لفهم الثقافة؛ وذلك لأن أي نظام لغوى يعبر عن نظام إدراك جماعة من الجماعات لبيئتها، ولنفسها، وإذا لم يكن هذا التعبير كاملاً، ومن ثمَّ فلا يستطيع أن يفهم حضارةً ما حقَّ الفهمِ من يجهل وسيلتها اللغوية في التعبير.

- اللغة وعلماء الفلسفة والمنطق:

. يرى الفلاسفة والمناطقة، وعلى رأسهم "جفونز" أن اللغة وسيلة لتوصيل الأفكار، والعواطف، والرغبات، وأنها مساعد آلى للتفكير، وأنها أداة للتسجيل والرجوع، وأراد بذلك لغة الكتابة؛ لأن الشخص يكتب، ويسجل أفكاره، وآراءهُ ،ثم يرجع إلى ما سجل وقت الحاجة إليه.

. وفى فهم ذلك صعوبة؛ فاللغة ليست مستودعًا للفكر المنعكس، أو وسيلة لتجسيم الفكر؛ فاللغة وسيلة للتفاهم بين أفراد المجتمع، وتوصيل الأفكار، وحلقة فى سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، أي أن اللغة جزء من السلوك الإنساني، كما أن استعمال اللغة قد يكون للتسلية، أو الترفيه، أو النظر في أُمور تخصُّهم في إدارة أعمالهم، وشئونهم، وهذه الأشياء لا تدخل ضمن تعريفهم؛ فاللغة لا تستعمل للتعبير عن الأفكار بقدر ما هي وسيلة للتعاون، والترابط الاجتماعي، كقولك للشخص:" كل عام وأنتم بخير"، و" كيف حالك " ؟، فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين، وإنشاء علاقة اجتماعيّة بينها.

اللغة هي ظاهرة عقلية عضوية نفسية اجتماعية تميزه عن غيره من الكائنات الحية، وتتألف بنية هذه الظاهرة من أصوات تنظم في كلمات تكون الجمل؛ لتؤدي الدلالات المختلفة.

واللُّغةُ: وعاء التجارُب الشَّعبيَّة، والعَادات والتقاليد، والعقائد التى تتوارثها الأجيَال، وهى سجل تاريخ الشعب، ترتقى برقيِّه، وتنحطُّ بانحطاطه ؛لأنها ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ تنمو فى أحضان المُجتمع وتربط بين أفراده، وتجعل منه وحدةً مُتماسكةً في عاداته، ومعاملاته.

والواقع أنه لا توجد لُغة بدُون وجُود مُجتمع، ولا توجد لُغة مُنفصلة عنْ جماعة إنسَانيَّة تستخدمها وتتعامل بها فى علاقاتها وعاداتها فهي حدّ فاصل بين[شعب وشعب]، و[أُمَّة،وأُمَّة]، و[حضارة وحضَارة]؛ فهي ظاهرة اجتماعيَّة مكتسبة تنمُو وتتطوَّر معَ المُجتمع، وتؤثِّر فيه قوَّةً، وضعفًا بقدر ما هى وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي، كقولك لشخص:[كلّ عام وأنتم بخير]، وكيْفَ حالُكَ؟

فلا يقصد بذلك نقل الأفكار بقدر تكوين، وإنشَاء علاقة اجتماعيَّة بينها.

-وعرفها علماء الاجتماع بأنها" نظام من رموز عرفيّة، يتعامل عن طريقها أعضاء المجموعة الاجتماعيّة المعينة، وهى الأداة الرابطة بين أفراد المجتمع، ووسيلة التفاهم المعبرة عن أفكاره واحتياجاته ، وتجعل منه وحدة متماسكة ، وهى وعاء التجارب الشعبيّة ، والعادات ، والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحدًا بعد الآخر .

اللُّغة ظاهرة: إنسانية اجتماعية، مكتسبة منَ المحيطين بالإنسان، وعرفيَّة تعارفتْ عليها الجماعة اللُّغويَّة، واللغة رُمُوز تستخدم فى الاتِّصال، ونقل الأفكار، كالصفير، والحركات، وصوت مدفع

الإفطار، وأجراس الكنائس، وصوت القطارات والسيَّارات، وإشَارات المرُور، والألوان البيضاء: للفرح ، والسوداء للحزن، واللغة مُتغيِّرة لعوامل جغرافيَّة، وجنسيَّة، ونفسيَّة، وتغير ثقافي، وتطور لُغوى.

–واللغة المنطوقة أسبقُ منَ المكتُوبة لحاجة البدائي لها، وينظر إليها عن طريق الفم والأُذُن، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضَارة والقلم .

والإنسان بطبعه مدنىّ، محتاج للغة؛ لأنَّ من طبيعته البحث والاستطلاع، ووصف حقائق الموجُودات ووضع القوانين، وتشخيص الظواهر، وألفته بالآخرين واجتماعه بهم، وتصارعه معهم باعتبار الإنسَان أرقى الكائنات المخلُوقة بما ميَّزهُ اللهُ من نعمة العقل.

وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرضٍ مَا، واسعة أو ضيِّقة، ثمَّ انتشارها وامتدادها؛ حيثُ ينتشرُون جغرافيًّا، كما أنَّ الإنسَان بطبعه الاعتزاز بلغته يتعصَّبُ تعصُّبًا قوميًّا لها، كنقل الأُمويين دواوينهم إلى العربيَّة، وتطهير الألمان للغتهم منَ الألفاظ الفرنسيَّة الدخيلة.

ولمْ يكن انتشار اللغة، أو كثرة استعمالها في المحافل الدوليَّة دليلاً على رُقيِّها، بلْ تنتشر اللغة نتيجة للغزو والفتُوحات، وسيطرة المُستعمِر على هذه البلدان، فتتأثَّر الشُّعُوب المستعمرَة بلغةِ المُستعمِر [كالفتح العربي لبلاد فارس، ومُصَارعة اللغة الفارسيَّة]، و[فتح بلاد الشَّام، ومُصَارعة اللغة الرُّوميَّة] ،و[فتح مصرَ، ومُصَارعة اللغة القبطيَّة]، واقتصار اللغة الأصليَّة على أداءِ المراسم، والعبادات في الكنائس، والأديرة.

واللغة أيضًا وسيلة لنقل الأفكار، ووسيلة للهو والتسلية، والبهجة والمتعة والتعبير عنِ الحزن، والسُّرُور، والانفعالات، كمَا في شرح المدرس للدرس، أو مرافعة المحامي لموكِّلِه، كمَا أنها وسيلة للترابط الدولي والقومي، كجامعة الدول العربيَّة، واتِّحاد الدول الناطقة بالفرنسيَّة.

-واللغة من خصائص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات، رغم ما أكدته البحوث العلميّة الحديثة من وجود تفاهم بين الحيوانات، والحشرات، والطيور، كما ورد فى القرآن الكريم على لسان النملة والهدهد، إلا أن اللغة الإنسانيّة تتميز عن ذلك بأنها نظام يمنحه العقل لجهاز النطق الإنسانى متمثلاً في أعضائه:(كالحنجرة، واللسان، وفراغ الفم، و..)، وهي أعضاء محدودة الحجم، والأوضاع تنتج مجموعة محدودة من الأصوات.

-فقد كان للحيوان الأعجم إشارات، ورموز استخدمها كوسائل للتفاهم بين جماعاتها، وكان للطيور مثلها، ولكن الإنسان هو أرقى هذه الكائنات حيث كان، بما ميزه الله -تعالى- من نعمة العقل، فقد أصدر الأصوات السّاذجة، ثم ارتقت وأخذت صورًا وأشكالاً تبعًا للظروف البيئيّة، والتفكير الإنساني حتى استقرت في هذا الوضع.

- واللغة كالكائن الحي مرت بمراحل متعدّدة، ينبغي أن نسلم بتطور اللغات ونموّها، كما ينبغي أن نسلم بأن كثيرًا من اللغات قد ماتت تحت وطأة أقدام الزمن المندفع إلى الأمام بلا توقف.

- وترتبط اللغة باستيطان البشر لأرض ما، فيكون نموها متوقفًا على مدى سعة، أو ضيق هذه الأرض، وعلى قوّة ونفوذ وقدرات هؤلاء البشر على الانتشار.

فمثلاً اللغة العربيّة: هى لغة تُنسب إلى مجموعة من الناس تسكن منطقة جغرافية معينة، ويسمّى أهلها بالعرب، وتحتل المرتبة السادسة على مستوى العالم من حيث عدد الناطقين بها، وكان من السهل مضاعفة هذا العدد لو أخلص العرب لديهم، وتعصبُوا للغتهم كما فعل أسلافهم من جهود مخلصة؛ لنشر هذا الدين وهذه اللغة، وإلى جانب اللغة العربيّة يوجد في العالم نحو(ثلاثة) آلاف لغة منطوقة، بخلاف اللهجات وكل لغة لها جمهورها المستخدمون لها، ولها مساحتها التى تسود فيها.

. والواقع أن هذه التعريفات السّابقة، كتعريف القدماء(ابن جنّى، وابن خلدون)، وتعريفات المحدثين (سابير، ودو سوسير، ود/ إبراهيم أنيس)، قد حددت إلى حدٍّ كبيرٍ طبيعةَ، وماهيةَ اللغة،وأهمَّ خصائصِها، فهي جميعها تؤكد أن اللغة ظاهرة إنسانيّة اجتماعيّة مكتسبة، في شكل نظام عرفي من الرموز الصوتيّة ذات المعنى، تستخدم–غالبً– أداة للاتِّصال بين أفراد جماعة لغويّة معيّنة.

– اللغة عند علماء الأحياء والتشريح:

. أما عند هؤلاءِ فقد عدّوها كائنًا عضويًّا، وذهب بعضهم إلى أن علم اللغة بذاته علم بيولوجي، وإذا كانت اللغة بما لها من نفوذ قوي، فقد جذبت كلّ هؤلاء وغيرهم إلى الوقوف أمامها، ومحاولة الإفادة من طبيعتها، ونظمها في ميادين المعرفة المختلفة، فإنها مع كلّ هذا لم تكشف عن كلّ أسرارها إلا في دراسة خاصّة بها تدرسها بذاتها ولذاتها.

وظائف اللـــغة

-اللغة هي الأداة الفعالة التي تربط بين أفراد المجتمع، وتجعل منه وحدة متماسكة ، فهي المعبرة عن أفكاره واحتياجاته، وهي كل ما يهمه في هذه الحياة، كما أنها الوعاء الذي يحفظ تجارب الأمة، وثقافتها، وتاريخها، وتراثها ونقله عبر الأجيال، فهي ظاهرة إنسانية مكتسبة من المجتمع ذات نظام من وحدات(صوتية وصرفية) لها سمات معينة أو خصائص مشتركة، وتساعد في نقل الخبرة الإنسانية ، والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة؛ لأن اللغة تولد الفكر، فهي أداته التي تنظمه، وتنقل نتائجه للعقول، والأذهان عبر المسافات الزمنية، والمكانية فتحدث المعرفة التي تحقق آمال الإنسان.

- يرى" جيفونز"أن اللغة وسيلة للتفاهم، وأداة تساعد على التفكي، وتقوم بتسجيل الأفكار والرجوع إليها، كما أنها تعمل على تحقيق الاتصال أو الترابط بين أفراد المجتمع، فتؤدي إلى تماسكه؛ فهي أسمنت المجتمع، فهي تدبر شئون المجتمع، وتقسيم العمل، وتوزيع الجهد، والمساعدة على إنجاز بعض الأعمال والأنشطة الحيوية التي يؤديها العمال في صورة جماعية كالصيد، والبناء، وأعمال الحفر.

-كما تعد اللغة وسيلة الإنسان للهو والتسلية، ومصدر بهجة ومتعة، وإدخال السرور إلى النفس والتعبير عن الجمال والتأثير في النفوس والقلوب، لما فيها من انسجام صوتي، وواقع غنائي على الأذن، كما تستخدم كمساعد آلي للفكر، تسهل الفكر، وتساعد على نموه، فهو يؤثر في نمو اللغة وتطورها، وهذا أمر واقع، لتفاعل اللغة بالفكر .

-وقيل أن: "اللغة سجل تاريخ الشعب، ترتقى برقيه، وتنحط بانحطاطه"، ومهما تعددت الآراء في تحديد العلاقة بين الفكر واللغة، وتضاربت في أسبقية النشأة لكل منهما، فلن نجد من يستطيع التنبؤ بمصير الفكر والتقدم الإنساني لو لم توجد لغة النطق وأداة الكلام.

– اللغة أحد مقومات الوطن والوطنية: حيث تكون رابطًا قويًا يجمع الشعوب الناطق بلغة واحدة، واللغات المختلفة في الأمة الواحدة، أو الوطن الواحد.

فاللغة جزء من كياننا الروحي، ومعين لتراثنا، وقطعة من تاريخ الأمة، لذا تفرض الدول المستعمرة لغاتها على الشعوب المحتلة، كما فعلت إيطاليا في ليبيا – وفرنسا في تونس والجزائر أثناء استعمارهما، لكن الشعوب المحتلة تتماسك بكيانها" لغتها" حتى أثناء الاستعمار، كما فعلت بولندا عندما احتلتها الإمبراطوريات العظمى في القرن ال 18 ، لذا نجد الشعوب المحتلة تركز على مطالبة المستعمر في أن تكون لغاتها في الأمور الرسمية، وفي التاريخ دلالات كثيرة على اعتزاز الشعوب بلغاتها، فقد نقل الأمويون دواوينهم إلى العربية، وسعى الألمان في نهاية القرن ال19 إلى تطهير لغتهم من الألفاظ الفرنسية الدخيلة، كما أبعدت تركيا الألفاظ العربية عن لغتها.

–اللغة وسيلة للترابط الدولي والقومي: تعد جامعة الدول العربية هي جامعة اللغة العربية، وهناك اتحاد الدول الناطقة، ودول الكومنولث، وقيل: للروابط اللغوية بين أمريكا وانجلترا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولي بجانب الحلفاء.

–اللغة وسيلة للترابط الاجتماعي: اللغة نشاط اجتماعي، يحصل بها على العون والمساعدة، وتقييم الود والألفة بين الناس، ولغة التحيات، والتخاطب، والسؤال عن الحال والصحة، ولغة التأدب، ولغة الكلام، وقد نرى أن الصمت أحيانًا في الاجتماعات على أنه مظهر سلوكي عدائي، أو مظهر من مظاهر اختلاف في وجهات النظر.

–فاللغة هي محاولة للوصول إلى أعماق شعور الجماهير، والتأثير في الناس وإقناعهم، ودفعهم إلى عمل سلوكي معين، أو تغيير نمط سلوكي، أي أنها تصنع الرأي العام.

–اللغة وسيلة للتنفيس عن الإحساسات وبخاصة العنيفة منها: قد يستخدم الإنسان اللغة ناشدًا الأشعار الحزينة، باكيًا من فقدهم من أحبابه، بقصد التفريج أو التنفيس عن آلامه وأحزانه؛ وذلك عندما يخلو إلى نفسه، دون قصد إلى نقل إحساسات أو أفكار معينة.

– اللغة وسيلة للتسلية أحيانا: حيث يقوم الأفراد بالتلاعب بأصواتهم بقصد التلذذ والسرور، والمعجزة الإلهية في جعله أعضاء النطق آلات موسيقية يجب على الإنسان أن يداعبها ويلعب بها، لذا فالثرثرة عند المرأة في غير المواقف الرسمية بهجة ومتعة.

–ومجمل القول في وظائف اللغة في المجتمع نجد أنه بجانب وظيفتها الأساسية التي هي التواصل بين أفراد المجتمع، هناك وظائف أخرى قد تقل في أهميتها ولكن يجب علينا عدم نكران وجودها، وهذه الوظائف المتعددة للغة تجعلها من أهم الظواهر أو المؤسسات الاجتماعية.

وقد قيل:"اللغة أصوات في حروف، وحروف في كلمات، وكلمات في جمل، وجمل في نحو، ونحو في بيان، والبيان وحدة لا تتجزأ، والإنسان كائن مجتمعي".

" خصائص اللغة الإنسانية"

إن الأشكال المستخدمة في الاتصال لدى الحيوان محدودة للغاية، ومحصورة في غرائزه ورغبات، فاللغة الإنسانية أشكالها متنوعة تبعًا لتجارب ومعارف الإنسان، وأما صيحات الحيوان فتفتقر إلى التأليف أو التركيب والتقسيم؛ وذلك مختلف عن اللغة الإنسانية القادرة على الخلق والابتكار تبعًا للمواقف؛ حيث يستخدم الإنسان لغته وفقًا لقواعد صوتية؛ وصرفية؛ ونحوية معقدة متعارف عليها بين أفراد جماعة.

-اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل أبناء الجنس البشري دون سائر المخلوقات، فالإنسان حيوان ناطق يتميز عن غيره من المخلوقات بأنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ، وممارسة الحياة في جماعة متعاونة ومرتبطة بعمل جماعي.

-اللغة ظاهرة اجتماعية يتبعها أفراد المجتمع، ويستخدمونها في علاقاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، فهي نتاج العقل الجمعي.

- اللغة ظاهرة مكتسبة، أي يتلقاها الإنسان ويتعلمها من المحيطين به، ويرى العلم الأمريكي (سكينر) أن اللغة عادة مكتسبة لدى الإنسان، وأن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تمامًا، وبالتدريب المتواصل يتمكن من السيطرة عليها، وللمجتمع دور كبير في صيغ الكلام بالطابع الاجتماعي.

-اللغة عرفية تنشأ من اصطلاح الجماعة اللغوة المعينة، فهي ليست تحكمية مفروضة على المجتمع من خارجه، فمعارف الناس على تسمية الأشياء بأسماء قد تكون مختلفة عند أناس، والقول بعرفية اللغة لا يحول دونا لاعتراف بما بين أفراد الجماعة اللغوية من فروق لا يحدها الحصر .

- اللغة نظام وقواعد مقروءة تخضع له في توزيع أصواتها، وكلماتها وجملها.

- اللغة رموز استخدمها الإنسان في اتصاله، بأخيه كالصفير، والحركات، وأصوات مدفع الإفطار ، وأجراس الكنائس، وصوت القطار، وإشارات المرور المختلفة، وكاللون أسود كرمز للحزن،

والأبيض رمز للفرح عند المصريين، وهز الكتفين عند الإنجليزي كعلامة النفي ب (لا) ..... وهكذا، فكلها رموز تشبه اللغة المنطوقة.

4- اللغة صوت ذو معنى يصدر عن أعضاء الجهاز النطقي الإنساني.

5- اللغة متغيرة : والتغير هو انتقال ظاهرة لغوية من حالة إلى حالة أخرى في مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المعينة، والتغير يلحق أنظمة اللغة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية تبعًا لقواعد وقوانين أقرب ما تكون إلى الثبات واطراد النتائج، ولا طاقة لأحد بمقاومته، أو تغييرها، وترجع أسباب التغير لظروف: جغرافية، ومناخية، وصفات بيولوجية، وجنسية، وعوامل نفسية، وانتقال اللغة من جيل إلى جيل، والميل إلى السهولة والاقتصاد في الجهد.

وكذلك من أسباب التغير: تأثر اللغة بلغات أخرى، والصراع اللغوي، والتغير الثقافي.

فاللغة: نظام من الرموز المنطوقة والمكتسبة تستخدمه جماعة معينة من الناس؛ بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم.

" اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اتصل الإنسان الأول بأخيه مستعينًا ببعض الوسائل كالحركة، والرسم، والصوت، والضوء، ثم تطورت ملكة الكلام لدى الإنسان، فنشأت عن ذلك اللغة المنطوقة، فاستخدمها ردحًا من الزمن حينما أحس بالحاجة للاتصال بغيره من بني جنسه حين يصعب على الصوت أن يؤدي الغرض، لبعد المسافة والزمن.

وحينما أراد أن ينقل خبراته وتجاربه لأحفاده، وهنا أدرك عدم كفاية اللغة المنطوقة لإتمام عملية الاتصال في وقت لم يملك فيه الإنسان وسائل الاتصال السلكية أو اللاسلكية ولا وسائل التسجيل، عندئذ تطورت وسائل الاتصال فصارت اللغة المكتوبة.

ومن ذلك يتضح سبق اللغة المنطوقة للغة المكتوبة ودليل ذلك أن الإنسان بدائي يحتاج لأبسط الضرورات ومنها اللغة المنطوقة، بينما اللغة المكتوبة وليدة الحضارة، و إذا لم تكن ثمة حاجة للكتابة اكتفى باللغة المنطوقة، كذلك بداية الإنسان عندما يولد يتعلم اللغة المنطوقة، ثم يتبع بيئته فقيرة متخلفة لا تعلمه، أما إن كانت مستنيرة فإنها تحرص على تعليمه القراءة والكتابة، أي أن تعلم اللغة المنطوقة أولًا، ثم يكون الحرص والتوجيه لتعلم اللغة المكتوبة أو لا يكون، ومقتضى هذا أن حقيقة اللغة تقوم على الأصوات المنطوقة لا الكلمات المكتوبة، أو كما قال" جسبرسن " :" إن اللغة ينظر إليها عن طريق الفم والأذن، لا عن طريق القلم والعين.

" الفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة "

اللغة قديمة قدم المجتمع الإنساني، ولكن البحث فيها لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي، ولذا فإن كتابتها" تدوينها" ظاهرة حديثة نسبيًا، فهناك شعوب كثيرة أميون لم تدون لغتها، ولم تتصور أن تلك العبارات المنطوقة يمكن أن تدون إلا بعد مرورها بمرحلة من الرقي الحضاري، فاللغة معروفة للإنسان كمعرفته للماء والتنفس.

لكن متى عرف الإنسان التحليل العلمي لمكونات الماء وخصائصه، أ و الجهاز التنفسي، أو عمليتي الشهيق والزفير؟

! لا شك أنه عرف ذلك منذ وقت قريب نسبيًا

وإليك عزيزي القارىء بعض الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة :

1- من حيث الثبات والتنوع: نجد أن الأولى متنوعة والثانية ثابتة نسبيًا؛ حيث تعتمد على اختيار العبارات المناسبة، ولا تظهر فيها ملامح شخصية الكاتب، أما الأولى فتظهر شخصية وجنسية المتكلم.

2- من حيث المنطق والانفعالية: نجد أن الأولى انفعالية تتنوع فيها عناصر الصوت من نبر وتنغيم، ووقف، وحركات، ونظرات تبعًا للموقف "جد– هزل –سهل– صعب" لا تملك فيها الحواس،

أما الثانية فهي منطقية تعتمد على السيطرة على الحواس في قدرتها على التصوير، والدقة في التعبير.

3- من حيث التكلف والعفوية: نجد أن الأولى عفوية، والأخرى متكلفة؛ لحاجتها إلى ضبط وقواعد تحتاج إلى افتعال وتحليل أو احتياط.

ثانيًا: نظريات نشأة اللغـــــــــــة.

اختلف العلماء حول موضوع النشأة، وتنوعت أراء المفكرين، ولم يصلوا إلى نتائج يقينية، بل كان معظمها مصطبغًا بالصفة الشخصية، يقول (ماريو باي): فيم يختص بشأن اللغة وطبيعتها:

"لدينا مصادر تعتمد على الأساطير، والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد".

وحاول البعض عرض نظرياته عن نشأة اللغة بثوب علمي؛ مدافعًا عنه في صلابة وإصرار، غير أن بعض المعتدلين من علماء اللغة سخر من مجرد التفكير في جعل موضوع نشأة اللغة ضمن بحوث علم اللغة، فقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع، وعدم قبول أي بحث فيه، كما أن كثيرًا من علماء اللغة المشهورين من أمثال(بلو مفيلد، وفيرث) لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي.

واعتبر(فيرث) أن الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية التي على طالب علم اللغة أن يلم بها إلمامًا سريعًا، ولا بأس من ذلك حتى نعرف بعض النظريات والآراء التي حاول بها العلماء تفسير نشأة اللغة الإنسانية.

يرجع الفضل في هذه النشأة إلى المجتمع الإنساني، وحاجة أفراده للتعاون والتفاهم، فاللغة من أهم المؤسسات الاجتماعية عند الإنسان، وإحدى مميزاته الرئيسة التي تميزه عن الحيوان، وربما أن موضوع نشأة اللغة مشكلة فكرية قديمة، كثرت حولها البحوث، وتعددت بصددها الآراء والنظريات، ومن أهم نظريات نشأة اللغة:

-نظرية التوقيف:

ترى هذه النظرية أن اللغة وحي إلهي من الله_عز وجل_بدليل قوله تعالى:﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلأَسمَآءَ كُلَّهَا ﴾، ومن الإنجيل المقدس في العهد القديم"أن الله دعا أدم بأسماء جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية" ، ومعناها: أن اللغة توقيف من الله تعالى(جاهزة في عالم الغيب)ثم كشفها وأطلع عليها آدم وورثها بنوه.

وأصحاب هذه النظرية قديمًا: هيراكليت الفيلسوف اليوناني(ت:480ق.م)

وفي العصور الوسطى: ابن فارس، والأشعري، والنسفي، وابن جني، والسيوطي، وفي القرن ال 18 : الفيلسوف الفرنسي دوبو نالد، والأب لامي.

وإن كان علم اللغة يرفض هذه النظرية؛ لافتقارها إلى الحجة العلمية المقنع، يتبين لنا من وهن وضعف الحجج، والأدلة لمخالفتها سنن التطور، وطبيعة الظواهر الاجتماعية.

وليس لهذه النظرية دليل عقلي واقعي يؤيدها.

-نظرية الاصطلاح والمواضعة:

ترى أن اللغة ابتدعت بالاتفاق والمواضعة، أي أن اللغة نشأت من صنع الإنسان، فهو الذي ركب الكلمات من الحروف، ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها حسب حاجته في هذه الحياة، أي وضع اللغوي سمة أو لفظًا يدل على إبانة الشيء، نحو، إنسان، وعين، ويد، ورأس، وقدم، وبذلك تنشأ العربية.

ومن أنصارها قديمًا: (ديمو كريت) اليوناني، وفي العصور الوسطى:(ابن جني)، وأستاذه(ابن علي الفارسي).

وفي العصور الحديثة(آدم سميث)الإنجليزي(وريد)الإنجليزي، وليس للنظرية سند عقلي، أو نقلي أو تاريخي، وما تقرره يتعارض مع النظم الاجتماعية التي تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها، فلا تخلق خلقًا ولا ترتجل ارتجالا، ولا توجد دفعة واحدة.

-نظرية محاكاة أصوات الطبيعة:

ويذهب أصحابها إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعة، كدوي الريح، وحفيف الشجر، وحنين الرعد، وخرير الماء، وسجيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، ولعل ذلك يكون قريبًا إلى الصحة والمعقول، وأكثرها يتفق مع طبيعة الأمور، وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات، وظوهر الطبيعة الاجتماعية، ويؤيد ذلك لجوء الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام إلى محاكاة الأصوات الطبيعة ، وإن كان ذلك لا يعيد تاريخ نشأة اللغة، ويعد العالم الألماني(هردر) أول من دافع عن هذا المذهب.

-ويمتاز مذهب المحاكاة بشرحه مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ، وبالبيئة التي تحيط به، ولكن يؤخذ على هذا المذهب ما يلي:

-حصره أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة.

-تجاهله الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس، وهي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية.

- لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدها في اللغات المختلفة ، ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات، ويتضح ذلك بوجه خاص في أسماء المعاني كالعدل، والمروءة، والكرم والشجاعة، وغيرها.

-رفض المنهج العلمي للغة البدائيين.

-إن طريق المحاكاة يجعل الإنسان في مرتبة أدنى من الحيوان؛ لأنه قلده حاكيًا صوته قاصدًا الدلالة على مصدره، هذه هي المآخذ التي دعت المدافع عن هذا المذهب وهو العلامة(هردر) الألماني إلى العدول عنها في أخريات حياته، كما سخر منها(مكس موللر) الألماني، ومع ذلك فإن لأصحاب هذا المذهب الفضل في فتح باب للباحثين للبحث الفلسفي في نشأة اللغة.

كما أنه لا يبعد كثيرًا في إرجاع نشأة اللغة– أحيانا– إلى ملاحظة خاصة.

ويعد د/كمال بشر تلك النظرية بعيدة أيضًا؛ لأن لغات بعض الشعوب البدائية تكاد تخلو خلوًا تامًا من مثل هذه الكلمات.

4-نظرية التنفيس عن النفس:

تصور أن نشأة اللغة عند هؤلاء السلف البعيد حيث بدأت بصفة انفصالية محضة، فمرحلة الألفاظ قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية التي صدرت عن الإنسان، فكانت مجرد غناء ينظم بوزن حركة المشي، أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان؛ للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة فهذه الأصوات الساذجة، قد تطورت على مر الزمن، حتى صارت ألفاظًا، ولعل الصيحة لدى الحيوان والتي تكشف عن خوف أو لرغبة في الغذاء بعد أن زودت بقيمة رمزية اعتبرت كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون.

-وتمتاز هذه النظرية بعزوها نشأة اللغة الإنسانية؛ أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان، من انفعالات وأحاسيس، فإذا كانت النظرية السابقة قد أرجعت نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها، فإن هذه النظرية خطوة أخرى في اتجاه آخر نحو البحث عن حل للمشكلة، فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات التي تعجز النظرية السابقة عن شرح منشئها.

! ومع كل هذا فإنها نظرية ناقصة وغامضة؛ لأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالي؛ ولأنها لا تشرح لنا سر تحول تلك الأصوات الساذجة الانفعالية إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية؛ لذا انصرف عنها اللغويون، وسخر منها(مكس مولر).

5-نظرية الاستعداد الفطري:

أذاعها(مكس مولر)، على أن الإنسان مزود بفطرته بالقدرة على صوغ الألفاظ الكاملة، كما أن لديه الرغبة في التعبير عن أغراضه بأي وسيلة من الوسائل؛ وذلك عند الحاجة أو في الوقت المناسب.

ولعل الذي دعا(مكس مولر) إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية الحرة، وهم تواقون لأن يضعوا أسماء لأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، كما أنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل؛ ارتضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم، والتعبير عن أغراضهم، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة التي تنشأ عنها الألفاظ.

-ونرى في هذه النظرية مشكلة المشكلات، فكيف، ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة؟ وإذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات؟ وكيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكامنها، ويطلقها على المسميات المختلفة؟

فالنظرية إذن تنقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أعمق منها، وأشد غموضًا منها ولبسًا، ومن أبرز عيوبها: أنها تفرض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور.

6-نظرية الملاحظة:

برهن العالم الألماني(جيجر) من خلال تجاربه إلى أن الأعمال، والإشارات الإنسانية هي أقدم ما وصل إليه من الأصوات اللغوية الأولى، وأنها أول ما عرف الإنسان عن أخيه، وأول ما لفتت الإنسان الأول، وأثارت اهتمامه؛ حيث كان الإنسان يعمل وله حالات انفعالية تثير الاهتمام، وتخلق التأثر، فتثير الملاحظة، والانتباه من حوله، نحو: كلمة الكشط أو السلخ، فإنها مشتقة من عمل الإنسان بالجلود في سلخها، وفي الخشب حث كشط لحاؤه، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب.

ويؤيد هذه النظرية أن جميع أسماء الآلات تقريبًا مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية، كما في لغتنا العربية من نحو: المنشار، والمفتاح، والمقص، والمخرز، وكلها مشتقة من أصول يدل كل واحد منها على عمل إنساني مهم.

وإن كانت هذه النظرية خطوة لحل المشكلة إلا أنها لم توضح لنا بأسلوب مفهوم أو معقول الأصول العامة الأولى للأصوات التي أرجعتها إلى الأعمال والإشارات الإنسانية المشتقة من أعمال الإنسان، فمن الصعب جدا إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها إلى تلك الأصول العامة.

7-نظرية الأصوات التعجبية العاطفية:

ترى أن اللغة الإنسانية بدأت هكذا عند الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من فرح، أو وجع، أو حزن، أو استغراب، أو تقزز، كقولك:(أف)عندما تتأفف، أو(وي)عند التلهف أو التحسر. وقد رفضت هذه النظرية لعدم قدرتها على عدم إبراز الصورة الحقيقية لنشأة اللغة.

8-نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ومدلولها:

أن اللغة الإنسانية بدأت بالمقاطع الطبيعية التي يتفوه الإنسان بها عفويًا عند استعماله أعضاء جسمه في العمل اليدوي، كما تسمع إذا وقفت بجوار عامل ينحت صخرًا، أو يحمل ثقلًا، أو يقطع شجرة، أو حداد يعمل.

ملحوظة: وقد رفضت هذه النظرية: لعدم أدلتها القوية على إبراز صورة حقيقية لنشأة اللغة أيضًا.

9-النظرية الاجتماعية:

ترى أن اللغة نشأتً عن طريق الأصوات الجماعية نتيجة التقاء الإنسان الأول مع إخوانه من البشر في أعمال تحتاج إلى أصوات تخفف على أنفسهم مشقة العمل فأصدر أصواتًا لا معنى لها، كقولهم: هيلا هوب، ثم صار لها معنى بعد ارتباطها بالعمل، وأصبحت على مر الأيام وسيلة للتفاهم.

أي أن اللغة وضعتها الجماعة فهي اجتماعية، وهذا ليس معقولًا أن يظل الإنسان أبكما زمنًا طويلًا حتى يلتقى بغيره فينطق الأصوات المعبرة دفعة واحدة دون مران سابق، وهذا يخالف للمألوف. كما أنه ليس معقولًا أن الإنسان لم يعرف اللغة إلا بعد تكوين الجماعة، ومزاولتها للأعمال الشاقة التي هيأت له سبيل الوصول إلى الكلام.

10-نظرية التطور اللغوي:

تأثر أصحابها بنظرية التطور العام للعالم"دارون" ورأوا أن التطور اللغوي يشبه التطور والنمو اللغوي عند الطفل، وزعموا أن لغة الإنسان الأول سلكت مراحل فكرية متعددة، متمشية مع مراحل نموه العقلي، وهذه المراحل هي:

أولًا: مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية:

صدرت عن إنسان العصور الأولى حيث لم تنضج أعضاء نطقه؛ بالإضافة لميوله، ورغباته المحددة، لذا جاء بعض الأصوات مبهمة وغير مفهومة أحيانًا وبدون رغبة أو غرض معين.

ثانيًا: مراحل الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض، والرغبات، المصحوبة بالإشارات المتنوعة التي تساعد الأصوات فطريًا في أن تبين عن أغراضها، وقد ساعد نمو أعضاء النطق، ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان على هذا التطور في الأصوات وتكيفها، وتنوعها؛ لاختلافها في الشدة والرخاوة ، والجهر، والهمس، وغير ذلك، وتمثلها تلك الأصوات التي تصدر عن الطفل في نهاية السنة الأولى من عمره، حيث تكون مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه بما فيها من دلالات على الخوف أو الحنين، أو النفور، أو الرضا، أو القلق، أو الاضطراب، أو الشعور بالحاجة إلى المعونة ، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره، ويستغيث بغيره من بني جنسه.

ثالثًا: مرحلة المقاطع:

حيث صارت أصوات الإنسان غير المحددة المعالم إلى أصوات محددة، وفي صورة مقاطع قصيرة، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية، أو متأثرة بها حيث يتأثر الطفل مثلا في

بداية عامه الثاني من عمره بمن حوله، يتأثر بهم فينطق مقاطع متكررة حتى تنطبع في نفسه، وتكون منها لغته البدائية، نحو:"هوهو"عن الكلب، " نونو"عن القط ، و" تك تك" عن الساعة، وغير ذلك.

رابعًا: مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع:

وقد وصل الإنسان إليها حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاء صوته، واتسع نطاق حياته الاجتماعية وكثرة رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره، وفي هذه المرحلة يتألف معجم الطفل اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته ممن يحيطون به.

خامسًا: مرحلة الوضع والاصطلاح:

وهي المرحلة الأخيرة للنمو اللغوي، وتصنعها حاجة الإنسان للاحتكاك ببيئته، ومسايرة اللغة المستخدمة لديه مع تفكيره وعقله، مشاهداته، وكثرة التجارب، وتغاير دروب الحياة.

وفي هذه المرحلة وضعت المصطلحات العلمية، وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة، وازداد النمو الفكري، وأوغل الإنسان في التحضر، وتتناسب هذه المرحلة مع الطفل عندما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون، ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة، ثم تأتي مرحلة التنسيق والتجميل للكلام شعرًا ونثرًا.

هذا هو مذهب التطور اللغوي في نشأة اللغة الإنسانية، ويمتاز بما يأتي:

يخضع نشأة وتطور اللغة إلى سنة التطور العام مثلها كالكائن الحي، ينشأ صغيرًا ساذجًا، ثم ينمو شيئًا فشيئًا، بحكم طبيعته وبيئته، فاللغة كظاهرة اجتماعية تخضع لعوامل التطور.

يشرح سر نمو اللغة متنًا وأسلوبًا، ويعزو ذلك إلى تقدم ورقي الإنسان اجتماعيًا، وإلى حاجته لتنمية لغته لتساير حياته، ليستطيع التعبير عن أفكاره ورغباته.

- وجود أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها، وأن الإنسان قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيفة بما سمع من أصوات الحيوان أو الظواهر الطبيعية، معبرًا عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه.

-عدم إنكار هذا المذهب لأثر الاشتقاق والوضع في تنمية متن اللغة وتوسيع نطاقها.

! تلك هي أهم النظريات التي اشتهر أمرها في الكلام على نشأة اللغة الإنسانية عند القدماء من فلاسفة الإغريق، وعلماء الغرب المسيحي في العصور الوسطى، وعلماء اللغة، وأهل الكلام من العرب، وفلاسفة القرن الرابع الهجري وما بعده، والمحدثين من علماء اللغة في أوربا حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأوائل القرن العشرين، وكلها نظريات لم تحل مشكلة النشأة اللغوية، ولم تفسرها تفسيرًا يمكن أن تطمئن إليه، لعدم استقامتها على المنهج العلمي، وبعدها عن الواقع اللغوي المطابق لحياة الإنسان الأول.

لذا يجب إخراج مسألة أصل اللغة ونشأتها من مجال البحث اللغوي، بينما ابن فارس يجعل البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر، ويقول(جسبرسن): إن علم اللغة لا يمكن أن يحجم إلى الأبد عن البحث في الوقت أو المكان الذي يتوقع أن يكون قد حدث فيه تطور لغوي.

والحق أن الإنسان بطبعه يميل للتطلع إلى المعرفة، فيجوز أن تكون هذه النظريات القديمة قد ظهرت نتيجة اهتمام الإنسان بأصله وطبيعته، فكل من الإنسان واللغة مترابطان، فمتى عرف نشأة اللغة عرف متى، وأين ظهر الإنسان.

وأرى: أن مباحث أو نظريات نشأة اللغة فيها كثير من المغالاة، ويرى بعض اللغويين أنه من الضروري إقصاء هذه المباحث التي لا تتعلق بفقه اللغة تعلقًا وثيقًا، بينما يجعل ابن فارس البحث في نشأة اللغة أولى بالاهتمام، بل هي الدراسة اللغوية الجديرة بالنظر، ومهما يكن من أمر فإن موضوع نشأة اللغة لا يزال الخوض فيه من الأمور الفلسفية الميتافيزيقية التي تخرج الباحث فيه من

نطاق الحقائق العلمية إلى البحث فيما وراء الطبيعة، وفي أمور لا تملك منها اليوم أية وثائق أو مستندات والله أعلم.

ومع ذلك فقد أعجبني رأي أستاذي د/ عبد الصبور شاهين" من المفيد لبيان أهمية اللغة أن يتساءل اللغوي عن نشأتها، مهما تكون عسيرة على التصور فهذا هو المدخل الطبيعي لدراسة الظاهرة المجهولة الأصل؛ ولإثارة خيال الدارسين حولها، وأمر لا يخلو من فائدة ".

ويقول أيضًا:" كما أنه في نظرنا ضرورة منهجية لا ينبغي تجاهلها"

وهكذا نرى أن كل النظريات التي حاولت من جانبها أن تفسير نشأة اللغة، وقد رفضها علماء اللغة جميعًا، لعدم قدرتها على أن تفسر إلا جانبًا محدودًا(ضيقًا)من اللغة؛ وذلك لأن أصل اللغة يغطيه الحجب، والغموض بسبب قدم عهوده.

ومن الصعب علينا أن نهتك هذه الحجب إلا بالتخمين، والخيال، والغيبيات، وكلها مرفوضة لدى علم اللغة الحديث.

وسواء كانت هذه الأصوات ناشئة عن طبيعة الإنسان، أو أجمع على وجودها بالاصطلاح والمواضعة، أو بوحي إلهي وتوقيفي، أو نشأت للمحاكاة لأصوات الحيوانات أو الطبيعة، أو للأصوات الانفعالية، أو الأصوات الجماعية، أو المؤثرات الخارجية أو أن اللغة غريزة في الإنسان الأول، أو غير ذلك مما قيل في نشأة اللغة.

فإن اللغة: هي تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق الإنساني معبرًا بها عن إحساساته، وحاجاته اليومية المتعددة، وهي تعبير وتوصيل وتواصل، كما أنها أداة نستخدمها للتأثير في الغير.

ثالثًا: مناهج علم اللغـــــــــة.

تاريخ علم اللغة الحديث يبدأ باكتشاف اللغة السنسكريتية (sanscrit)، وحل رموزها على يد (السيروليام جونز) الإنجليزي في سنة 1786م؛ حيث اقتصرت الدراسات اللغوية قبل ذلك على دراسة فيولوجيا اللغتين اللاتينية والإغريقية، ولم يكن هناك نصيب من الدراسة للهجات الشعبية أو للغات غير الأوربية، وكان أس الدراسة الذي يدور حوله اللغويين هو البحث في أصل ونشأة اللغة، وتقويم اللغات من حيث الأسلوب أو الثروة اللفظية أو ضخامة التراث أو التاريخ الأدبي للغة.

وهذه البحوث وشبهها قد نبذها علم اللغة الحديث وراء ظهره؛ لأنها ميتافيزيقية أو ذاتية يعتمد الرأي فيها على التخمين، ثم بدأ علماء اللغة بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها، فاستخدموا: المنهج الوصفي، ثم المنهج التاريخي ، ثم المنهج المقارن. .

أولًا: المنهج الوصفي:

يُعد(دو سوسير) أول من دعا إلى تطبيق(المنهج الوصفي) في دراسة اللغة، وأول من وضع الأسس العلمية الدقيقة لهذا المنهج، وقد أطلق على هذا العلم اسم(سايكروني) بمعنى علم اللغة التزامني، أي في الزمن، وقد أطلق عليه مصطلح آخر هو(علم اللغة التركيبي)؛ لأنه يهدف إلى وصف تركيب البنية اللغوية، وكان اللغوي السويسري"دوسوسير" أول من أبرز إمكان بحث اللغة، أو اللهجة بالمنهج الوصفي، وكان المنهج المقارن هو السائد حتى القرن التاسع عشر.

❖ والمنهج الوصفي يهتم بدراسة وتحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة، لذا نرى أن أية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية، أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة، أو الوسيطة، أو الحديثة تعد دراسة وصفية ، وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش، والنصوص العربية القديمة بالمنهج الوصفي، ودراسة الأبنية الصرفية المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي، ودراسة جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي، وإعداد المعاجم الصغيرة كلها تتم

بالمنهج الوصفي، ويقوم هذا المنهج على وصف اللغة المنطوقة المعينة في حالة الثبات؛ حيث يقوم الباحث بوصف اللغة؛ وتسجيل مظاهرها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية المتزامنة، وليس من تخصصه تفسير الظاهرة، أو الحكم عليها بالصواب، أو الخطأ، وإنما حسبه تسجيل الواقع اللغوي تسجيلًا أمينًا، وفيه توصف اللغة حسب الشكل الموجود في فترة زمنية معينة وبيئة مكانية محددة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض، فهو منهج علمي ساكن، لا يقتضب الباحث فيه ما هو مفصل، ولا يبسط ما هو معقد.

والمنهج الوصفي هو المنهج السائد الآن في علم اللغة الحديث؛ لأن التنظيم الباطني للقواعد الداخلية للغة هو المهم، وليس تاريخها أو نشأتها، أو مراحل تطورها هو المهم، وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولًا علميًا، أما المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أساس علمي موضوعي، وهو يحقق فائدة علمية، وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية، وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم.

ومع ذلك فمن الصعب الفصل بين المنهجين: الوصفي والتاريخي، فالدراسة اللغوية التاريخية لا يمكن أن تقوم إلا على أساس المنهج الوصفي؛ وذلك لأن متابعة التغير التاريخي للغة لابد من سبقه بوصف المراحل المختلفة التي مرت بها اللغة، مرحلة أثر مرحلة.

ثانيًا: المنهج التاريخي:

يقوم المنهج التاريخي على : دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون ويعتمد على ما دون– من نصوص، وهو يتتبع الظاهرة اللغوية من أقدم عصورها التاريخية إلى أحدثها مسجلًا التغيرات التي تلحق بها، سرها وأسبابها ونتائجها.

أي أن هذا المنهج منهج استرجاعي يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق الوثائق القديمة وقد سمى(دو سوسير) علم اللغة التاريخي باسم(دياكروني) بمعنى: عبر أو خلال الزمن.

وعلم اللغة التاريخي أو التطوري يقوم بدراسة اللغة المكتوبة من خلال تغيراتها المختلفة عبر الزمان والمكان، فاللغة هي بناء حاضر، ونتيجة ماض، وحركة متطورة، والتغير اللغوي يسير في كل الاتجاهات:

(في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات)، ولا يحدث هذا التغير بدرجة واحدة، ولا يخضع لنظام معين ثابت، ويعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة، كما يعتمد على المنهج الوصفي للغة بتتبع تغيراتها، والدراسة التاريخية تتصف بالحركة، وعدم الاستقرار، ولذلك يقول ماريو باي:" أما علم اللغة التاريخي، فهو علم بفاعلية مستمرة، فهو يدرس اللغة من خلال تعبيراتها المختلفة.

ثالثًا: المنهج المقارن:

يركز هذا المنهج على دراسة الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية أو الدلالية المشتركة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة الأصل، ولقد استخدم(بوب) في بحثه(نظام التصريف في اللغة السنسكريتية) والمقارنة بينهما وبين الألمانية، واليونانية، واللاتينية، وأماط اللثام عما بين اللغات الهندية الإيرانية من جهة، واللغات الإغريقية واللاتينية، والجرمانية من جهة أخرى من تشابه وسمات مشتركة، وفعل ذلك علماء كثيرون، ونتج عن تطبيق هذا المنهج، تصنيف اللغات، وربطها بعضها ببعض، واكتشاف ما بين هذه اللغات من سمات مشتركة، مما جعلهم يطلقون عليها اسم(فصيلة اللغات السامية) التي تشمل اللغات الأكادية(الأشورية والبابلية) واللغات الكنعانية(العبرية والفينيقية) ، واللغات الآرامية، واللغة العربية الشمالية والجنوبية، واللغة الحبشية، كما اكتشف اللغويون صلات القرابة التي تربط اللغات الحامية(اللغة المصرية القديمة، والقبطية الحديثة، والبربرية، واللغات الكوشيتية)، كل استنتاج قائم على نظم افتراضية ، فعلم اللغة المقارن باستطاعته تحديد تغيرات معينة، خضعت لها لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها التاريخي، أو دراسة لغتين من فصيلة واحدة ، كالعربية والسريانية مثلًا .

رابعًا: المنهج المعياري:

أنكر أصحاب هذا المنهج نظرية التطور اللغوي، ورأوا أن اللغة ظاهرة جامدة، وأن اللغة ثابتة، وأن التغيير في اللغة أمر فاسد يجب التصدي له، كما يجب وضع قواعد معيارية للغة، ويعتبر الخروج عنها أمر خطأ، ومن وافقها فهو الصواب، وقد ساد هذا المنهج عند الإغريق والرومان والمتأخرين من نحاة العرب، حتى مطلع العصر الحديث، حيث تراجع أمام المناهج الأخرى قليلًا.

خامسًا: المنهج التقابلي:

ويقوم بدراسة الثقافات والحضارات المختلفة بين لغتين من قبيلتين مختلفتين، كالعربية والإيطالية مثلًا، أو العربية، والألمانية، كما يجب أن تحدد الدراسة مستوى بعينه في اللغتين المدروستين كالفصحى فيهما أو العامية فيهما مثلًا، وتركز الدراسة التقابلية على جوانب الاختلاف بصفة أساسية في اللغتين موضوع الدرس وتقوم أولًا بدراسة وصفية للظواهر في كل لغة على حده، ثم تقوم بعد ذلك بدراسة تقابلية تقارن فيها اللغتين؛ لمعرفة أوجه الاختلاف بينهما فهي دراسة تبدأ وصفية ثم تنتهي تقابلية، وبجوار هذه المناهج الأساسية والبارزة في مجال البحث اللغوي، فهناك مناهج أخرى كمنهج الملاحظة، والاستقراء، والتجريبي، والمنهج النفسي والاجتماعي، ولكل منهج مدارسه وعلماؤه وباحثوه، ومؤيدوه ومعارضوه وناقدوه، وإن كانت هذه المناهج ذات صلة بعضها ببعض وصولًا للهدف المرجو.

رابعًا: مستويات التحليل اللغوي

اللغة الإنسانية هي نظام من الرموز الصوتية، أو هي نسق من العلاقات، وهذا النظام أو النسق تتحكم فيه قواعد معينة، في مجال التحليل اللغوي، ولتبسيط البحث وتيسيره نعمد إلى تجزىء الظاهرة اللغوية إلى مستويات أربعة، ثم نفحص كل مستوى على حدة في محاولة لبناء نموذج أو صورة للغة لكي نستطيع تفسيرها وإلقاء الضوء عليها، وهذه المستويات الأربعة هي:

1- **المستوى الصوتي(phonetics):**

ويدرس من خلاله منهجه مواضع النطق وصفات الحروف، من حيث الجهر، والهمس والانفجار، والاحتكاك، والترقيق، والتفخيم، كما يدرس مخارجها، ومعانيها، والنبر، والمقاطع، والتنغيم في لغة معينة باعتبار الأصوات اللغوية وحدات صوتية مجردة منعزلة عن سياقاتها، أو باعتبار الصوت اللغوي وحدة في نسق صوتي فتهتم الدراسة ببيان الأشكال المختلفة التي يتشكل بها الصوت ، وكذلك بيان وظائفه وقيمه.

ويطلق على هذا القسم من هذه الدراسة(فونولوجي)، أما القسم الثاني فيطلق عليه مصطلح (الفوناتيك)، ويدرس الأصوات(مادة الكلام الإنساني)، مع بيان صفاتها، وأقسامها، وخواصها ويدرس جهاز النطق، وتشريحه، ومخارج الحروف، والأذن، وتأثير هذه الأصوات في الهواء الذي ينقلها بين السامع، والمتكلم.

2- **المستوى الصرفي:(Morphology):**

ويدرس الصيغ اللغوية، وبناء الكلمة، وطرق تشكيلها من اشتقاق، ونحت، وإلصاق، والتغيرات التي يطرأ عليها، ويصنف الصيغ إلى أجناس كالفعل والاسم والأداة، أو التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، والتغيرات الصرفية نتيجة الأصوات المتجاورة ، كقولهم: مقال، واستقال، و إقالة، وقوَّل وقلت من مادة (قول).

هذا ويعالج علم الصرف الوحدة المسماة بـ(المورفيم) وهو أصغر وحدة ذات معنى في اللغة المدروسة، أي الكلمة، نحو: كلمة(معلمان) نجدها تتألف من مورفيمين هما(معلم)، و(أن)ولا يمكن تقسيم الكلمة(معلم) أو(أن) إلى أقسام أخرى لها معنى.

3- المستوى التركيبي أو النحوي (syntacs)

ويدرس نظام الجملة، وتحليلها، ووضع الكلمات في الجمل، والعلاقات النحوية التي تربط بين عناصرها المختلفة، ويدرس أيضًا أنواع الجمل من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجب وغير ذلك ، ونظرًا للارتباط الشديد بين علمي النحو والصرف فأطلق عليهما: قواعد النحو، أو النحو(Grammar)، واتصالًا بهذه الدراسات، وانبثاقًا عنها في الدرس اللغوي الحديث، ظهرت مناهج جديدة في دراسة التراكيب من بينها المنهج التوليدي التحويلي.

4- المستوى الدلالي (sematics)

علم المعجم وعلم المعاني: ويقوم بدراسة معاني المفردات، والعبارات، والعلاقات الدلالية المختلفة ، مثل: الترادف، والتضاد، والاشتراك اللفظي، والتغير الدلالي وأسبابه، والتطور التاريخي للكلمات وما يلحقها من حياة أو موت، أو رقي، أو انحطاط، كما يدرس ربط الكلام بمقام استعماله ومراعاة مقتضى الحال، كذلك يدرس تاريخ الكلمات واشتقاقاتها.

إذن اللغة تخضع إلى مجموعات من الضوابط، وعديد من النظم التي تقنن ظواهرها، كما تتعدد مستوياته، ويتطلب كل مستوى معرفة الروابط التي تنظمه، والقواعد التي تحكمه، واللغة وسيلة تعايش بين الفرد والمجتمع، وبدونها ما كان له أن يعبر من نطاق ذاته إلى الآخرين، وأن يقيم جسورًا من الصلات بينه وبينهم، وذلك بنقل الأفكار والمعلومات وتبادل الخبرات، كما أن اللغة وسيلة للتنفيس عن مشاعر الإنسان إزاء ما يحيط به في حياته وبتنفيسه عن مشاعره، يعبر في الحقيقة عن مواقفه وطموحه.

وفي هذا الفرع يقول أستاذي الدكتور/ تمام حسان:

"اللغة نتاج اجتماعي بلا شك، ويراعي الكشف عن هذا الجانب الاجتماعي في إبانة المعنى وهو ما يعرف بالمعنى الدلالي الذي هو معنى المنطوق الذي هو نشاط نطقي بخلاف المعنى المعجمي العام الذي هو معنى الكلمة.

وهذه المستويات السابقة الأصوات، الكلمات، الجمل)هي مبني للغة، أي ما يشبه أن يكون روحًا أو عقلًا للغة.

والخلاصة: أن النشاط اللغوي الإنساني ليس عملية سهلة، لتداخل العديد من المؤثرات في هذا النشاط، وكذلك لخضوعه للنظم المتعددة، والتي يخضع الإسنان لها عند ممارسته لهذا النشاط اللغوي.

الفصل الثاني

نظرية الحقول الدلالية

أولًا: الجانب النظري

ثانيًا: الجانب التطبيقي.

نظرية الحقول الدلالية وإرهاصاتها

تمهيد:

تُعَدُّ نظرية الحقول الدَّلالية خطوةً هامة في طريق تطوير ما يعرف بمعاجم المعاني أو معاجم الموضوعات؛ لما لها من دور هام في إحكام تنظيم المفردات وفق مفاهيم تجمعها، وبذلك لم تعد الفائدة من هذه المعاجم منحصرةً في تزويد الكاتب بألفاظٍ لمعانٍ تجول في ذهنه، بل صارت تُستعمَل في تعليم اللغات، وتسهِّل عملية الترجمة الآلية، وتسهم في تتبع التغيرات الدلالية التي حملتها الكلمات في مسيرتها التاريخية.

وهذه المعاجم التي يسعى العلماء فيها للوصول إلى أعلى درجات الدِّقة، بإخضاعها لتصنيفاتٍ معتمدةٍ على ما يجدُّ من طرقٍ في مجال الحقول الدَّلالية، هي تمثيلٌ لغويٌّ للعلاقات المنطقية في الكون، إذ إنها تنسج من الألفاظ شبكاتٍ دلاليةً تربط بعضها ببعض، وتبرز العلاقة بين الألفاظ ودلالتها، ومرجعيتها في العالم المحيط بالإنسان.

ويرى الدكتور أحمد عزّوز أن «ترتيب الكلمات في مجموعات يرتبط بفطرة الإنسان، ومن خصائص العقل الإنساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكوّن أجزاء هذه المجموعة أو تلك، حتى يتسنى لنا فهمها ووضع قوانينها ثم الحكم عليها والاستنتاج».

وقد مرّت هذه المعاجم بمراحل منذ بدءِ الإنسان بتجميع الألفاظ في مُصَنَّفاتٍ تُفسِّر له علاقة اللفظ بمدلوله، فمنهم من جعل قدَم السبق للهنود مع (بانيني)، وآخرون يرون أنَّ الصينيين هم من أوائل البادئين بهذا الفن، واستمرت في الظهور والتطور مع تطور الحياة وما يجدُّ فيها من مفاهيم.

لم تكن هذه المعاجم وليدة اللحظة، وإنما وُجدت مع محاولات الإنسان الربط بين اللفظ ودلالته والمرجع الخارجي، وليس القولُ: إنَّ العرب كان لهم إسهامٌ في هذا الفن من فنون التأليف المعجمي –ضربًا من ضروب التعصب أو الادِّعاء المفتقر إلى الدَّليل، بل إنَّه مثبَتٌ بما وصلَنا من نصوصِ ما عُرِف في تراثنا بمعاجم المعاني أو معاجم الموضوعات التي جُمعت وَفق طرقٍ تُقارب إلى حدٍّ بعيد ما يُطلَق عليه في أيامنا بمعاجم الحقول الدلالية، والتي تُعرَّف بأنها: «معاجم تقوم على حقول تضم مفاهيم كلية، تضم في داخلها ما يرتبط بها من مفرداتٍ تدلُّ على مفاهيم فرعية مرتبطة بالمفاهيم الكلية».

أولًا: الجانب النظري:

–المعنى اللغوي والاصطلاحي لنظرية الحقول الدلالية:

- **النظرية لغة:**

مفرد، جمعها؛ نظريات، وحسب المعجم الصافي في اللغة العربية، فإن النظرية مأخوذة من الجذر اللغوي: "نَظَرَ، يَنْظُرُ، نَظرًا.

- **اصطلاحا**

نقصد عادة بالنظرية، مجموعة منسجمة من الافتراضات، القابلة للتقصي، فالافتراض والانسجام والتقصي، مفاهيم أساسية، تحدد بعد النظرية.

يتبين أن مصطلح" **النظرية** "ارتبط في بداياته بالمجال العِلمي، لتستفيد منه مجالات معرفية أخرى، ومن ثم فهو يحيل على المعارف النظرية، التي لم تخضع بعد للتطبيق.

- **الحقول لغة:**

ورد في معجم المنجد ما يلي:"حقِلَ، حَقَلاً وحَقْلَةً البعير أو الفرس: أصابه وجع في بطنه من أكل التراب. الحِقْلُ والحَقْلَةُ: وجع في بطن الفرس أو الجمل من أكل التراب مع البقل.

- **اصطلاحًا:** هو العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغوية تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض، والصفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليا، يصنفها ضمن لفظ عام، في زمن محدد، ولغة معينة محددة.
- **الد**لالية لغة:
- الدلالية من "الدِلالة (مفرد)، مصدر دل بدلالة كذا دَلالة؛ ما يفهم من اللفظ عند إطلاقه "لهذه الكلمة دِلالة خاصة.
- **اصطلاحًا :**

عـرف هـذا المصـطلح كثيـرًا فـي مجـال اللسـانيات، باعتبـاره يشـكل أحـد فروعهـا ومكوناتها الأساسية، ومن تعريفاته ما يأتي:

- يستعمل هذا المصطلح عادة في مقابل مصطلح المعنى، وقد يأتي أحيانا مكافئا له.

تأسيسا على ما سبق؛ يمكن القول إن العنوان الذي اخترناه موضوع مقالنا، يشير إلى ظاهرة من الظواهر الهامة، التي اكتسحت المجال المعرفي في الآونة الأخيرة على نحو مخصوص؛ بحيث شهد (المجال المعرفي) انتقال نظريات كثيرة من حقل إلى آخر.

فالحقل الدلالي: من المسلَّم به أن الكلمة لا تحمل دلالة إلا بالسياق الذي يربطها بغيرها من الكلمات، ولهذا فإن أقرب تعريف للحقل الدلالي هو تعريف جورج مونان الذي بيَّن أنه: «مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهومٍ عامٍّ يُحدد الحقل» فهو أبسط تعريف جامع لمعنى الحقل الدلالي، فكلمة شجرة مفهوم عام تندرج تحته أشجار البرتقال، والتفاح واللوز، والمشمش...إلخ، هذه الألفاظ تمثِّل وحدات معجمية حاملة لمفاهيم معينة تتفق ومفهوم الوحدة المعجمية الشجرة، ومن مجموع الوحدات المعجمية ومفاهيمها يتكون حقل دلالي مستقل.

فهو قِطاعٌ دلاليٌّ مترابط، يتألف من مفردات اللغة التي تعبر عن تصورٍ أو رؤيةٍ أو موضوعٍ أو فكرةٍ معينة، فالكلمات المكونة للحقل الدلالي ترتبط بموضوع معين وتعبر عنه، فنفهم معنى الكلمة من علاقتها بالكلمات الأخرى، داخل الحقل الدلالي، فالحقل الدلالي هو

الذي يحصر العلاقات بين الكلمات حتى يفهم معناها وعلاقتها بالمفهوم العام.

فنجد أنَّ تطور العلوم واتساع إدراك الإنسان، وكثرة المفاهيم التي تتوالد يوميًّا دفعت بالإنسان الاهتمام بالمعبِّر الأساسي عنه، وهو اللغة إلى ابتداع طرقٍ كثيرةٍ محاولًا عن طريقها توظيف اللغة في التعبير عن علومه وإدراكاته، ثم عمد إلى تجميع مفرداتها وَفق طرقٍ تساعد على سرعة الوصول إلى معنى الكلمات، ومن هذه الطرق ربطُ الكلمات والألفاظ بمعنًى عام يمثل العنوان الأكبر لمجموعةٍ من العناوين الأصغر فالأصغر، ولم تتوقف حتى أيامنا الدراسات والبحوث المتناولة لهذا الفن، فتعددت الأقوال والآراء وأُوجِدت نظرياتٌ عدة؛ لأنّ النظريات تتغير بحسب المجال الذي تُستعمل فيه، وهذا التغير طبيعيٌّ؛ لأنَّ الدَّلالة لا يمكن أن تتمحور حولَ مفهومٍ ثابت، بل هي عرضةٌ للتوسيع والتضييق، وهذا التغير يؤدي إلى ولادة آراء ونظرياتٍ جديدةٍ تحاول حصر الموضوعات المنثورة في الكون. إذ إنَّ الغاية الأساسية من نظرية الحقول الدلالية، توزيع الكلمات وفق علاقات تشابكية تعين الباحث على تعيين دلالاتها وعدمِ الخلط بين المعاني.

- **الحقول الدلالية عند الغرب:**

ولا يمكن لأحدٍ أنْ يبتَّ في اسم المخترع الأول لنظرية الحقول الدلالية؛ ولهذا فإنَّ القول: إنَّ (دي سوسير) هو من أوائل المنظرين لموضوع الحقول الدلالية، لايُسلّم به على إطلاقه؛ لأنَّ قوله: إنَّ الدليل اللساني يخضع لنوعين من العلاقات:

1- علاقة مبنية على معاييرَ صوريةٍ مثل: كلمة (تعليم) فهي توحي بكلماتٍ أخرى مُشتقة منها، وتنتمي إلى نفسِ المجال الدَّلالي مثل: علم، نعلم.

2- علاقة مبنية على المعايير الدلالية فكلمة تعليم توحي بكلماتٍ أخرى مثل: تربية، تعلُّم، تكوين.

إنَّ العلاقات السابقة لا تُعدُّ مصداقًا لقولِ القائل: «بذلك وضع (سوسير) الإطار العام الذي يمكن أن تُدرس فيه الأدلةُ اللغوية»؛ لأنَّ ما قاله (دوسوسير)، لا يُعد إلا توصيفًا لما كان قبله من أعمال وليس إبداعًا لم يكن له ظهور، خصوصًا أنَّ علم التصنيف الذي ظهر عند اليونانيين وقبله عند أهل الرافدين قام على مثل هذه العلاقات، وإن لم يكن بالدقة التي أرادها (سوسير)، وكذلك ما قام به (بانيني) من تصنيف للكلمات يتحقق فيه شيءٌ مما ذكره ، وتطور الأمر عند العرب المسلمين؛ إذ إنهم فطنوا إلى النوع الأول الذي ذكره دوسوسير وأطلقَ عليه مصطلح العلاقة الصورية، وسمّوه مصطلح الاشتقاق الصغير الذي يقوم على أن تتغير صورة الجذر لكنه يلتقي مع الصور التي تخرج عنه بالدوران حول نواة المعنى الأساسي له.

لكنَّ النقلة النوعية في قضية الحقول الدَّلالية تحققت على يد العالم الألماني (تريـر) (Trier) الذي صبَّ جهده على مفرداتِ اللغة الألمانية الخاصة بالمعرفة في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر، وقد جعل المرحلتين موزعتين على حقلين، فوضع في حقل المرحلة

الأولى الصفات الجيدة، والصفات غير الجيدة، وفي حقل المرحلة الثانية جمع الكلمات المرتبطة بالخبرة الدينية، والمعرفة، والفن، لكنه لم يستعمل مصطلح الحقول الدلالية، وإنما استعمل بدلاً منه مصطلحات: الحقل المعجمي، الحقل المفهومي، الدائرة المفهومية...، ورأى بعض الباحثين أن سطور (A. Stor) هو أول من استعمل هذا المصطلح.

وقد تعددت أسماء الحقول العامة، بحسب العالم المُنظِّر لها، فأولمان (Ullmann) مثلاً قسمها إلى **ثلاثة أنواع:**

1- **الحقول المحسوسة المتصلة:** ويمثلها نظام الألوان في اللغات، فمجموعة الألوان امتدادٌ متصل يمكن تقسيمه بطرقٍ مختلفة.

2- **الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة:** ويمثلها نظام العلاقات الأسرية، وهي أيضًا يمكن أن تصنَّف وفق معايير مختلفة.

3- **الحقول التجريدية:** ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية، وهذا النوع من الحقول يُعد أهمَّ من الحقلين المحسوسين؛ نظرًا للأهمية الأساسية للغة في تكوين التصورات التجريدية».

فنظرية الحقول الدلالية تقوم على تجميع كلِّ مفاهيم الكون، أو بعضها وفق حقول تمثلها كلماتٌ مركزية، وتتفرع عنها كلمات تتحد معها بالمفهوم العام، ويعتمد فيها على علاقاتٍ يمكن استنادًا إليها بناء عناوين الحقول وما يندرج ضمنها من كلمات.

والمعجم المصنف وفق الحقول الدلالية، لابد أن تتوفر فيه تلك الأسس السابقة؛ لأنه

يمثل تجميعًا لمفاهيم عامة، تربط كلمات تنتمي إلى مقولات كلية، حتى يستطيع القارئ فهم الكلمات اعتمادًا على علائقها بعضها ببعض.

وقد أبدى الأوربيون اهتمامًا بهذا النوع من المعاجم في القرن التاسع عشر، فظهر معجم روجيه (Roget) للغة الإنكليزية، ثم معجم دورنزايف (Dornsief) للغة الألمانية.
ما سبق عرضٌ مختصر لمراحل نظرية الحقول الدّلالية في الغرب.

- **الحقول الدلالية عند العرب:**

نجد بذور هذه النظرية عند العرب، فإنها تبدأ مع الرسائل اللغوية التي كانت تجمع مفردات موجودٍ من الموجودات، مثل: رسائل الخيل، ورسائل النبات...إلخ. لكن أول المعاجم الجامعة في هذا الفن كان الغريب المصنف للقاسم بن سلام (تـ 224ه)، الذي يُعد جامعًا لمِا دُوّن من رسائل لغوية سبقته في الظهور ورسائل الأصمعي خاصةً، وممن سار على نهجه في تصنيف هذا النوع من المعاجم، عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (تـ 320ه) في الألفاظ الكتابية، وأبو عبد الله الخطيب الإسكافي (تـ 421ه) في مبادئ اللغة، وأبو منصور الثعالبي (تـ 429ه) في فقه اللغة...إلخ.

مبادئ نظرية الحقول الدلالية:

- ألا تكون الوحدة المعجمية الواحدة عضوًا في أكثر من حقل.

- لا يوجد وحدة معجمية لا تصنف في حقل دلالي معين.

- الاهتمام بالسباق الذي ترد فيه الكلمة.

-لا يمكن دراسة المفردات بمعزل عن تركيبها النحوي.

ثانيًا: الجانب التطبيقي:

مثال على الحقول الدلالية من القصائد التي تصلح دراستها على أساس فكرة الحقول الدلالية قصيدة "أنشودة المطر" للشاعر العراقي بدر شاكر السيَّاب في ديوانه" أنشودة المطر"، ومطلعها:

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،

أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القمرْ.

عيناكِ حين تَبسمانِ تورقُ الكروم.

وترقص الأضواء... كالأقمار في نهَرْ

يرجّه المجذاف وهناً ساعة السَّحَرْ

كأنما تنبض في غوريهما، النّجومْ...

وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ

كالبحر سرَّح اليدين فوقه المساءِ،

دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريفْ،

والموت، والميلاد، والظلام، والضياءْ؛

فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاءْ

ونشوةٌ وحشيّةٌ تعانق السماءْ

كنشوة الطفل إذا خاف من القمرْ!

كأن أقواس السحاب تشرب الغيومْ

وقطرة فقطرةً تذوب في المطرْ...

وكركر الأطفالُ في عرائش المكرومْ،

ودغدغت صمت العصافير على الشجرْ

أنشودةُ المطرْ...

مطرْ...

مطرْ...

مطرْ...

-ويمكن التفسير على النحو الآتي:

-**حقل أعضاء الجسد:** استعمل الشاعر الألفاظ الدالة على الإنسان وأعضائه نحو: العين، اليدين، فم.

-**حقل الظلام:** يشتمل على كلمات نحو: السواد، السحر، الخوف، المساء، النوم، الحزن، الضياع، الوحدة، الليل، الرحيل.

-**حقل الحزن:** يشتمل على كلمات نحو: الأسى، الموت، البكاء، اللحود.

-**حقل الموت:** يشتمل على كلمات نحو: اللحود، الموتى، الردى، البكاء، الروح.

أهمية نظرية الحقول الدلالية

تمثل نظرية الحقول الدلالية أهمية بالغة بالنسبة لمؤيدها وتتمثل أهميتها في:

- التحليل وفق نظرية الحقول الدلالية يساهم في التزيين بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة، وهذا ما يسهل على الكاتب أو المتكلم الموضوع في اختيار الألفاظ بدقة.
- تسهم في الكشف عن العلاقات وأوجه التشابه والاختلاف بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل واحد، وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها، فيتضح لنا بذلك مجال استعمال كلمة بدقة.

- يتحدد من خلال النظرية أوجه الخلاف بين اللغات، وكذا الأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيفها للمفردات.
- تضمن النظرية لمفردات اللغة وصيغها في شكل تجميعي تركيبي ينفي عنها الانعزالية.

الفصل الثالث

العلاقـــــات الـــــدلالية

الـتـــــــــــــــرادف

الترادف لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (ردف)، والرَّدْفُ: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئًا، فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف، والجمع الرُّدافي، ويقال جاء القوم ردافي، اي

بعضهم يتبع بعضًا، ويقال للحداة: الردافي، وترادف الشيء تبع بعضه بعضًا، والترادف التتابع، والمُترادِف: كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان وهي متفاعِلانْ ومستفعِلان ومُفاعِلان، وسمي بذلك لأن غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد، رويًا مقيدًا كان أو أصلًا أو خروجًا، فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولاحقًا به".

الترادف اصطلاحًا:

أما الترادف في الاصطلاح، فليس هناك اتفاق تام بين العلماء والدارسين قديمًا وحديثًا علي تعريف اصطلاحي واحد لمفهوم الترادف عندهم في تتبع الظاهرة، ولعل البحث يستطلع شيئًا من هذه التعريفات:

- سيبويه(ت 180هـ):

ربَّما كان سيبويه(ت180هـ) أول من أشار إلي ظاهرة الترادف في الكلام حين قسَّم علاقة الألفاظ بالمعاني إلي ثلاثة أقسام، فقال: " أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعني، واختلاف اللفظين والمعني واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين000واختلاف اللفظين والمعني واحد، نحو: ذهب وانطلق.

ومن تقسيمه هذا كانت أشارة البدء لمن بعده في البحث بالبحث في المتباين والمشترك اللفظي والمترادف، واشتهر هذا التقسيم بين العلماء، حتي جُعل أساسًا تبني عليه الكتب، فنجد الأصمعي(ت 216هـ)، والمبرِّد(ت286هـ)، وأبو عبيد(ت224هـ) يجعلون شطرًا منه عنوانًا لبعض مصنفاتهم، ككتاب(ما اختلف لفظه واتفق معناه) للأصمعي، وكتاب(ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد)

للمبـرِّد، وكتـاب(الأسـماء المختلفـة للشـيء الواحـد) لأبـي عبيـد، وذاك ابـن الأنبـاري(ت 228هـ) و قطرب(ت206هـ) يجعلان تقسيم سيبويه في مقدمة كتابيهما في الأضداد، ويفصلان فيه القول شرحًا وتعليقًا.

حاكم مالك الزيادي:

يرجع ظهور مصطلح الترادف أول مرة فيرجعه كما يقول حاكم مالك الزيادي إلي ثعلب أعتمادًا علي ما نقله السيوطي من قول التاج السبكي في شرح المنهاج "ذهب بعض الناس إلي إنكار المترادف في اللغة العربية، وزعم أن كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات000وقد أختار هذا المذهب أبو الحسن أحمد بن فارس في كتابه الذي ألفه في فقه اللغة000 ونقله عن شيخه أبي العباس ثعلب.

ويري في ذلك، ان النص الذي اعتمد عليه الباحث من صياغة التاج السبكي، وليس من صياغة ثعلب، والمصطلح في عصر السبكي كان موجودًا، فاستخدمه السبكي ليعبِّر عما ارتآه ثعلب من الإنكار، فكان نقلًا عنه بالمعني وليس باللفظ، فقد ورد فيه: (ذهب بعض الناس) ، ولم يقل قال ابن فارس أو قال ثعلب، كما أن في قوله:(اختار هذا المذهب أبي الحسن أحمد بن فارس000ونقله عن شيخه أبي العباس ثعلب) دليل علي اتخاذهما الإنكار مذهبًا، وليس فيه شاهد علي ذكرهما مصطلح الترادف ولا حجة بعد ذلك قاله الباحث من أشارة ابن فارس إلي مذهب شيخه ثعلب في الترادف، لأنها إشارة إلي مذهبه في الإنكار، وليست إشارة إلي ذكر المصطلح.

-علي بن عيسي الرُّماني(ت384هـ):

أول من ذكر الترادف صراحة هو علي بن عيسي الرّماني(ت384هـ) الذي جعله عنوانًا صريحًا لكتابه(الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعني)، ومع ذلك فالتصريح بذكر الترادف مصطلحًا لا يدل علي تمييز دقيق لمعناه؛ لان الرّماني يعطف المتقاربة المعني علي المترادفة، فنجد أن مصطلح الترادف لم يتضح له معني دقيق في الكتب اللغوية.

المرتضي الزبيدي (ت1205هـ):

أشار في تاجه إلي مصطلح الترادف، فقال: " المترادف ان تكون أسماء لشيء واحد، وهي مولدة، ومشتقة من تراكب الأشياء".

وتعريفه هذا لا يخرج عما ذكره سيبويه في أقسام الكلام ، إلا بالإشارة إلي أن المصطلح مولَّد.

-الفخر الرازي (ت 606هـ):

كما عرفه الفخر الرازي فيما نقله عن العلامة السيوطيّ- " هي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد" ثم قال:" واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد، فليسا مترادفين، بوحدة الاعتبار عن التباين، كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد، ولكن باعتبارين، أحدهما على الذات، والآخر على الصفة،والفرق بينه وبين التوكيد أَنَّ أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأَول، والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئاً كقولنا: عطشان نطشان".

-جلال الدين السيوطي(ت911هـ):

وعرفه العلاّمة السيوطيّ: هو" اتحاد المعنى وتعدد اللفظ".

- **- قطرب(ت210 هـ):**

- سماه قطرب(ت 210هـ) أيضا " اختلاف اللفظيين والمعنى واحد" ومثل له بـ" الذئب والسيد، وجلس وقعد"، وذكر إن اللفظيين مختلفان لكن معناهما واحد.

-المبرِّد (ت 286هـ):

ونجد للمبرد(ت 286هـ) كتابًا يحمل عنوان(ما تفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد)، إذ تناول فيه الترادف .

- **الأصمعي(ت216هـ):**

وكذلك وضع الأصمعي(ت 216هـ) كتابًا في الترادف سماه (ما اختلفت ألفاظه اتفقت معانيه).

وجاء في الطراز: الألفاظ المترادفة هي" الألفاظ المختلفة في أنفسها دون معانيها، وهذا كقولنا: نظر وفكر، وعلم ومعرفة، وليث وأسد، إلى غير ذلك من أنواع الترادف... فهذه الألفاظ متفقة في كونها دالة على حقيقة واحدة لا تختلف أحوالها في الدّلالة عليها".

-الشريف الجرجاني(816هـ):

عرَّفه الشريف الجرجاني بأنه "عبارة الاتحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة علي شيء واحد باعتبار واحد".

- **الشوكاني(ت1250هـ):**

عرفه الشوكاني بأنه" هو توالي الألفاظ المفردة الدالة علي مسمي واحد، باعتبار معني واحد، فيخرج عن هذه الأدلة اللفظين علي شيء واحد لا باعتبار واحد بل باعتبار صفتين كالصَّارم والمهنَّد، أو باعتبار الصفة وصفة الصفة، كالفصيح والناطق،والفرق بين الأسماء المترادفة والأسماء المؤكدة، أن المترادفة تفيد فائدة واحدة من غير تفاوت أصلًا، وأما المؤكدة ، فإن الاسم الذي وقع به التأكيد يفيد تقوية المؤكد000".

فنجد أن التعريف الآقرب لمفهوم الترادف هو تعريف الإمام الفخر الرازي حيث عرفَّه بأنه الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد نجده يفرق بين الاسم والصفة، وإنهما غيرمترادفين، بوحدة الاعتبار عن التباين، كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد، ولكن باعتبارين، أحدهما على الذات، والآخر على الصفة، كالإنسان والبشر، كذلك فرق بين المترادفان والتوكيد، ، فالمترادفان يفيد أحدهما ما أفاده الآخر، أما التوكيد يفيد الثاني تقوية الأَول، كذلك فرق بين الترادف والإتباع ، وقال أن التابع وحده لا يفيد شيئاً كقولنا: عطشان نطشان فكلمة نطشان ليس لها معني بمفردها .

وتبدو الصلة واضحة بين الدلالتين اللغوية والاصطلاحية للترادف، فإذا كان الترادف لغةً هو التتابع على وجه العموم، تتابع الناس أو الأشياء، فإن الترادف اصطلاحاً يعني – على وجه الخصوص – تتابع الألفاظ الدالة على شيء واحد (المترادفات) في الاستخدام. والتتابع لا يعني الترتيب، وإنما يعني مجرد المشاركة بين التابعين والمتبوعين في الفعل، وكذا الترادف – اصطلاحاً – يعني تشارك الألفاظ في الدلالة على شيء واحد.

وقد ربط الجرجاني في تعريفه للترادف ربطاً طريفاً بين دلالته اللغوية ودلالته الاصطلاحية، يقول : " الترادف ما كان معناه واحداً، وأسماؤه كثيرة ... أخذاً من الترادف الذي هو ركوبُ أحدٍ خَلْفَ آخر، كأن المعنى مركوب، واللفظان راكبان عليه كالليث والأسد " .

ب- أسباب وقوع الترادف:

وقد فسر العلامة السيوطيّ أسباب وقوع الترادف، إذ ذكر قول أهل الأصول في ذلك، فقال: لوقوع الألفاظ المترادفة سببان:

أحدهما: أن يكون من واضعين، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر بإحداهما الأخرى، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية، **والثاني:** أن يكون من واضع واحد، وهو الأقل، وله فوائد: منها: أن تكثر الوسائل - أي الطرق- إلى الإخبار عما في النفس، فإنه ربما نسي أحد اللفظيين أو عسر عليه النطق به، وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف أَلْثَغ فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك.

ومنها: التوسع في طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع، وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ".

- **أسباب وقوع الترادف عند اللغويين المحدثين فمنها:**

1-فقدان الوصفية(الصفات الغالبة):

(الصفات الغالبة)هي: " شيوع هذه الألفاظ وكثرة تداولها وغلبتها حتي يصار بها إلي أسماء في الاستعمال، ومن هذا ما جاء في اللسان حول الحسنة والسيئة قوله: وقد كثر ذكر السيئة في الحديث، وهي والحسنة من الصفات الغالبة، يقال: كلمة حسنة وكلمة سيئة، وفعلة حسنة وفعلة سيئة، وكذلك قوله: الحاجب: البَّواب، صفة غالبة...ومثلهما كلمة وحجبه: أي منعه من الدخول ...ومثلهما كلمة جهنَّم التي استخدمت نعتًا يشير إلي معني العمق ثم أصبحت من أسماء النار بعد ذلك، فقذ ذكر ابن منظور أن الجهنام تعني القعر البعيد وأن لفظة جهنَّم استخدمت صفة تشير إلي معني العمق حيث يقال: بئر جهنَّم: أي بعيدة القعر....

وبهذا تكون الصفة إحدي سبل تسمية الأشياء، وإحدي طرائق إطلاق الألفاظ علي المسميات، وكثيرة هي أسماء الأعلام التي علي هذه الشاكلة، أي ما كان أصله صفة صار علمًا للمسمي علاوة علي اسمه الحقيقي الصريح، وعندئذ يكون للشيء الواحد أكثر من اسم واحد.

إن استقراء وتأمل الألفاظ المترادفة من الناحية اللغوية التاريخي، يظهر لنا أن طائفة كبيرة منها قد كانت صفات للمسمي ثم جرت مجري الأسماء له علي وجه الغلبة، فعدت من باب المترادف بفعل الاستعمال وقد أثارت هذه المسألة جدلًا واسعًا لدي علماء اللغة، أسماء هي أم صفات؟

وهذا جعل بعض العلماء في تعريفه للترادف يعبر عن هذا الفرق بوحدة الاعتبار فالسيف والصارم مثلًا، وإن دلَّا علي شيء واحد، ولكن باعتبارين أحدهما علي الذات والآخر علي الصفة وعلي هذا كانا متباينين وليس مترادفين لاشتراط تحقق وحدة الاعتبار في المترادفين ،

ونظرًا لشيوع هذه الصفات في الاستعمال وكثرة تداولها كتبت لها الغلبة والشهرة فغلبت غلبة الأسماء، وربما طغي بعضها في الاستعمال علي الاسم الحقيقي المجرد .

ومما يجب الإشارة إليه أن طائفة أو بعض الصفات هي التي غلبت غلبة الاسم وخاصة تلك التي تدل علي الصفات المستحسنة والتي اشتهر استعمالها مثل: الحسام، والصارم، والعضْب، والمشرفي، والمهند، واليماني ، والبتار، وغيرها، وليست كل الألفاظ التي تدل علي صفات السيف، وهذا لا يعني أن معني الوصف قد تنوسي تمامًا في هذه الألفاظ فصارت تدل علي السيف دلالة واحدة ذلك أن القسم الأغلب منها مازال بشيء من التباين في معانيها وإن كان ذلك طفيفًا.

وتبعًا لمبدأ انتقال الصفة إلي الاسمية نتيجة التطور اللغوي يمكن أن يقرر البحث أن الصفة بهذا المعني من أسباب وقوع الترادف في اللغة، ويثبت هذا أن البحث في الألفاظ المترادفة من الناحية اللغوية التاريخية يكشف لنا بوضوح أن كثيرًا من الألفاظ إنما هي في أصولها صفات صارت ثم صارت أسماء بفعل الاستعمال، والحق أن الصفة تعلل الكثير من ترادف الألفاظ، ولها أثر كبير في ذلك كما في مترافات السيف والخمرة والعسل والأسد والذئب وغيرها.

وعلي هذا يصح أن نعد أن الصفة سببًا في نشأة الترادف، ولكن ها القول إن كان صحيح في جملته ولكن فيه شيء من الإطلاق، ينبغي تحديده وحصره بالصفة الغالبة غلبة الاسم، التي تطورت فبلغت مرحلة الاسمية وتنوسي فيها معني الوصفية، حتي عدت من باب الأعلام

المنقولة من صفات، فليست كل صفة مسببة للتراف ما لم تستعمل استعمال الاسماء دون أي اعتبار آخر.

2-اختلاف القبائل العربية :

يقتضي المنطق العقلي أن يكون اختلاف القبائل العربية سببًا في اختلاف الألفاظ الدالة على شيء واحد، من قبيلة إلى أخرى، لاسيما القبائل التي يبعد بعضها عن بعض جغرافيًا (مكانيًا)، ثم يكون التقاء أبناء هذه القبائل المختلفة بعضهم بعضاً في مناسبات عامة، كالحج وغيره، سبباً في انتقال الألفاظ الدالة على شيء واحد من قبيلة إلى أخرى، ثم يكون استخدام اللفظ الأصلي واللفظ المستعار من قبيلة أخرى، على حد سواء في الدلالة على الشيء.

إذَا، فأحد أسباب وجود المترادفات في اللغة " أن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان"، وبعبارة أخرى "كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد، كان ذلك أولى بأن تكون لغات الجماعات، اجتمعت لإنسان واحد ".

وما يقتضيه المنطق العقلي يثبته الواقع اللغوي، في عصرنا الحديث، يقول د. رمضان عبد التواب:" ولو نظرنا في اللهجات العربية الحديثة، لوجدنا شيئاً يشبه هذا الذي نتصوره في القديم، فما يسمى: فكّة مثلاً في مصر، يسمى في لبنان: فرافير، وفي سوريا والأردن: فراطة، وفي العراق: خردة، وفي ليبيا: رقاق، وفي السعودية : صرافة أو تفاريق، والبطيخ مثلاً في مصر هي الرَّقّي في العراق، والدِّلاح في ليبيا؛ والحبحب في السعودية، وما إلى ذلك" .

3-التطور الصوتي للكلمات:

لا خلاف بين العلماء في أن التطور يعد من أهم ظواهر الحياة ونواميسها، واللغة كغيرها من الأشياء، تخضع للتطور، ويصيبها من التغير قدر ما يصيب الناطقين بها في شئون حياتهم، واللغة يصيبها التطور على مستوياتها المختلفة، فيصيب أصواتها، وأبنيتها، وتراكيبها، ودلالة ألفاظها.

والتطور الصوتي للكلمات يكون بإبدال أحد أصوات الكلمة بصوت آخر قريب منه في المخرج أو الصفة، فالفعلان: هَتَلَ وهَتَنَ، في: هتلت السماء وهتنت، إذا أمطرت، تطور صوت اللام في الفعل هتل إلى النون في: هتن، أو العكس؛ لأنهما (اللام والنون) من مخرج واحد (لثويان)، وقد أدى هذا التطور إلى استخدام كل منهما بوصفه قائماً بنفسه، غير متطور عن الآخر، فقد ذهب ابن جني إلى أن الفعلين هتل وهتن أصيلان، وليس أحدهما متطوراً عن الآخر، ومن ثم فهما فعلان مترادفان.

والقاعدة ها أن الكلمتين المختلفتين في صوت واحد، إذا كان معناهما واحدًا، فإحداهما متطورة عن الأخرى؛ وإن كان معنى إحداهما مختلفًا عن معنى الأخرى، كانت كل كلمة منهما أصلًا(غير متطورة عن الكلمة الأخرى)، مثل : صعيد وسعيد، فالأولى تعني وجه الأرض، والثانية من السعادة؛ ولذا فالفعلان هتل وهتن، أحدهما متطور عن الآخر؛ لدلالتهما على معنى واحد، وقد ثبت لي من خلال دراستي لظاهرة الإبدال عن ابن جني أن الفعل هتل هو الأصل، وهتن متطور عنه، بل تَطَوَّرَ عن هتل فعل آخر وهو هطل.

وأمثلة التطور الصوتي في الأفعال والأسماء أكثر من أن تحصى، ولعل من أشهر الكلمات التي أصابها التطور الصوتي كلمة: صقر، التي تطورت إلى سقر، وزقر، ورد عن الأصمعي أنه قال:

"ختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما: الصقر بالصاد، وقال الآخر: السقر بالسين، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر" ومن الكلمات التي أصابها التطور الصوتي كلمة الحُثَالَة، التي تطورت إلى: الحفالة، والحذالة، والحسالة، والحصالة، وكل هذه الكلمات تدل على الرديء من الشيء، غير أنني أؤكد ما سبق أن أشرت إليه من أن الكلمات التي يتطور بعضها عن بعض لا تعد مترادفة.

4-الاستعارة من اللغات الأجنبية:

اختلاط أبناء اللغات بعضهم ببعض أمر واقع، لا خلاف عليه- قديمًا وحديثًا-، ويؤدي هذا الاختلاط في الغالب إلى أن تستعير لغة من لغة أخرى بعض ألفاظها، وتستخدم هذه الألفاظ المستعارة جنبًا إلى جنب مع الألفاظ الأصلية، فتصبح مرادفة لها، وتصبح الكلمات الأصلية والكلمات المستعارة سواءً في الدلالة.

ومن أبرز الكلمات التي استعارتها العربية من الفارسية كلمة اليم بمعنى البحر، وقد ورد بها الذكر الحكيم ﴿ فاقذفيه في اليم﴾

وكلمة البخت بمعنى الحظ، والبهرج بمعنى الباطل، والإستبرق بمعنى الحرير والدست الصحراء، والدستفشار العسل، فهذه الكلمات الفارسية اليم والاستبرق والبهرج، وغيرها- تستخدم جنباً إلى جنب مع مرادفاتها العربية ، واستعارت العربية من الرومية كلمة الفردوس بمعنى الجنة، أو الروضة، والصراط بمعنى الطريق، ...إلخ.

هذه هي الأسباب التي أدت إلى وجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية، وذكرها كثير من اللغويين في مؤلفاتهم، غير أن البحث أضيف إلى هذه الأسباب سبباً خامساً وهو كثرة التراجم. والترجمة نفسها لا دور لها في وجود الترادف في العربية عند مَنْ لا يقرون بالترادف بين كلمتين تنتميان إلى لغتين مختلفتين كاللغة العربية والإنجليزية. غير أن كثرة التراجم للكلمة الواحدة تؤدي إلى وجود الترادف بين الكلمات العربية التي استخدمت ترجمةً للكلمة الأجنبية، فكلمة Mobile مثلاً ترجمت إلى العربية بعدد غير قليل من الكلمات، مثل : المحمول، والمتحرك، والخلوي، والجوال ، والنقَّال ، وغيرها ؛ ولاشك أن هذه الكلمات – وغيرها إن وُجِدَ – تعد مترادفة في دلالتها على الهاتف المسمى Mobile.

ثانيًا: الترادف بين الإثبات والإنكار:

انقسم علماء اللغة في أثبات الترادف وإنكاره إلي ثلاث فرق منهم من قال بوقوعه ، ومنهم من أنكر وجود الترادف الترادف في اللغة ومنهم من وازن بين الرأين وفيما يلي التفصيل:

(أ)–المثبتون للترادف:

1- *سيبويه (ت180هـ):*

يذهب سيبويه في تقسيمه لوجود علاقه بين الألفاظ والمعاني إلي:

- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين(متباين)، مثل له ب: جلس وذهب.
- اختلاف اللفظين والمعني واحد (ترادف)، ومثل له ب: ذهب وانطلق.
- اتفاف اللفظين والمعني مختلف(اشتراك لفظي)، مثل له ب: وجدت عليه من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة.

من خلال هذا التقسيم لسيبويه نجده يقر بوجود الترادف ويعرفه ب(اختلاف اللفظين والمعني واحد، ويمثل له ب: ذهب وانطلق.

2- قطرب (ت 206هـ):

يوضح قطرب رأيه في مسأله الترادف بقولئه: " إنما أوقعت العرب اللفظتين علي المعني الواحد ليدلوا علي اتساعهم في كلامهم...".

3-أبو زيد الأنصاري (ت215هـ):

يتضح رأي أبو زيد الأنصاري من خلال ما أورده السيوطي في المزهر: " وفي الجمهرة: قال أبو زيد: قلت لأعرابي ما المحنبطىء؟: قال: المتكأكىء. قلت، ما المتكأكىء؟ قال: المتآزف. قلت: ما المتآزف؟ قال: أنت أحمق".

ومن ها يتبين أن أبا زيد كان لايجد غضاضة من أن يعبر علي المعني الواحد بأكثر من لفظ بل كان يؤمن أن الأعرابي يحتفظ في ذاكرت لأكثر من معني للفظ الواحد.

4-الأصمعي (ت 216هـ):

ألف الأصمعي كتابًا في الترادف يسمي(ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه)، فهو أحد المؤلفين في الترادف وهذا دليل علي موقفه من الترادف.كما روي ابن فارس في كتابه(الصاحبي في فقه اللغة): " أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُكْلِيّ ففسره، فقال: يا أصمعي: إن الغريب عند لغير غريب،

فقال : فقال : يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسمًا، من هذا يتبن أن الأصمعي كان يؤيد وجود الترادف ويحفظ للفظ الواحد أكثر من معني.

5-ابن خالويه(ت370ه):

يتبين موقف ابن خالويه في مسألة الترادف من خلال المناظرة الشهيرة التي دارت بينه وبين أبوعلي الفارسي والتي أوردها السيوطي في المزهر " كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسمًا فتبسم أبوعلي وقال: ما أحفظ له إلا اسمًا واحدًا وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهن والصارم وكذا وكذا فقال أبو علي: هذه صفات وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة".

يتبن من هذا الموقف أن ابن خالويه من المثبتين للترادف وكان لايفرق بين الاسم وصفته، كما أن لابن لخالويه كتاب في (أسماء الأسد) وآخر في (أسماء الحية)،وهذا دليل واضح علي قوله بالترادف والتأليف فيه.

6- *السَّيوطي(ت911ه) :*

يعد العلامة السيوطي من المثبتين للترادف وأختار هو وقوعه، فقال:" والأصح وقوعه، ومنه(الإنسان والبشر) و(والحرج والضيق) و(والرجز والرجس والعذاب)و(اليم البحر وقد لخص العلاّمة

السيوطيّ في المزهر رأي هؤلاء وهؤلاء، ويبدو من كلام السيوطيّ إن رواة اللّغة وجامعيها كانوا في القرن الثاني الهجري يسلمون بقضية الترادف ولا يرونها محلا للنزاع أو جدل.

وقد ذكر العلاّمة السيوطيّ مجموعة من الألفاظ المترادفة، منها: " إن للعسل ثمانين اسما، منها: العسَل، والضَّرَب، والضربة، والضريب، والشّوب، والذوب، والحميت، والتَّحْمُوت، والجلس، والورس، والإذواب، واّللومة، والنسيل، والنسيلة، والطّرم، والطريم، والدستفشار، والمستشار، والشهُّد، والشُّدْ، والمِحران، والعُافة، والعنفوان، والماذِيّ، والماذية، والطَّن، والطُّن، والبلّة، والسَّنُّت، والسِّنُّت، والسنوة، والشَّراب، والغرب، والصَّبيب، والمزِجُ، والمِزج، ولعابُ النَّحل، والرُّضاب، ورُضاب النَّحل، وجَنى النَّحل، وريقُ النحل، وقَيْءُ الزنابير.

ومن أسماء السيف، ذكر: الصأَرم، والرِّداء، والخليل، والقضيب، والصَّفيحة، والمُفقر، والصَّمْصَامة، والمأْثُور، والمقضب، والكَهَام، والأَنيث، والمعّضِد، والجُراز، واللَّدان، والفُطَار، وذو الكريهة، والمشْرفي، والقُساسي، والعضب، والحسام، والمُذكَّر، والهُذام، والهضذُوم، والمُنصُل، والهذّهاذِ، والهَذْهاذِ، والهُذاهِذ، والمخصَل، والمطبقِّ، والضَّريبة، والهندُواني، والنثهنَّد، والصّقيل،...

يقال: للعمامة: هي العمامة، والمشوذ، والسَّب، والمقطعة، والعِصَابة، والتّاج، والمكورة. ويقال: جاء الرجل مُتَختّما أي مُتعَّمما أحسن تختيمة أي تعميمة.

ويقال: سويداء قلبه، وحبَّة قلبه، وسَوَاد قلبه، وسَوادة قلْبه، وجُلْجُلان قلبه، وسَوءداء قلبه. ويقال: ضربه فهورَّه، وجَوَّره، وقطله، وقعْطلَه، وجَرْعَبه، وبَرْكَعه، وجَعْفَله، وبَرْتَعه إذا صَرَعه.

ويقال: ثوب خَلَق وأَخلاق، وسَمَل و أَسْمال، ومَزِق، وشَبَارِق، وطرائق، وطرايد، ومَشْق، وهِبَب وأهباب، ومُشَبرَق، وشمارق، وخضبِب، وأَخْبَاب، وخَبَائب، وقَبَائل، ورَعابيل، وذعابيل، وشَرَاذِم، ورُدُم، وهِدْم، وأَهْدَام، وأَطمَار بمعنى واحد.

واحتج القائلون بوقوع الترادف بما ذكره أبو هلال العسكري(ت 395هـ) من إن جميع أهل اللّغة إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا: هو العقل، أو الجرح قالوا: هو الكسب، أو السكب قالوا: هو الصب، وهذا يدل على إن اللب والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك".

واستدلوا كذلك بما ذكره ابن فارس من أنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، ولذلك إنا نقول في (لا ريب فيه) لا شك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عُبّر عن هذا بهذا علم إن المعنى واحد".

واستدلوا أيضا بأن الشاعر يأتي بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة، كقول الشاعر:

وهندٌ أتى من دونها النأي والبعد قالوا: النأي هو البعد.

- ***أما المنكرون للترادف:***

أما من أنكر الترادف فذهب إلى إن للكلمة اسمًا واحدًا، وما بعده من الألفاظ صفات:

1-<u>أبوعلي الفارسي (ت377هـ) :</u>

يتبين من الحوار الذي كان بينه وبين ابن خالويه أن أبوعلي الفارسي من أشد المنكرين للترادف وأنه يفرق بين ألاسم والصفة.

وفي ذلك يقول الدكتور رشيد العبيدي: إن" مذهب المدعين بأن الترادف هو من باب التباين بين الذات والصفة قديم، وأول من قال به أبو العباس المبرد(ت 286ه)، كما نقله أبو هلال العسكري(395ه)، ثم قال به ثعلب(ت 291ه)، وتابعه جملة من النحويين كأبي هلال العسكري، وأحمد ابن فارس(ت 395ه)، وغيرهم".

2-احمد بن فارس (ت359ه):

فنجد ابن فارس كذلك فرق بين الاسم والصفة بل فرق بين الصفات وبعضها، قال:" ويسمى الشيء الواحد الأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا إن كل صفة منها فمعناها غير معنى الآخر"

وهذا المذهب الذي ألتزمه ابن فارس مبني على إن الخلاف بين الألفاظ المترادفة يكمن في أن ثمة اسمًا واحدًا هو الحقيقة في الدّلالة، وإن ما عدا ذلك الاسم صفات جاءت متأخرة في أصل اللّغة، أما الحسام فإنه من الحسم، أي: القطع وهو صفة زائدة على ذاته، كما حاول ابن فارس أن يفسر جملة من الألفاظ على وفق هذا المنهج، فمضى وذهب وأنطلق وولى تبدو وكأنها ذوات دلالة واحدة ولكن التمييز الدقيق يُبين إن لكل منها وجهة غير وجهة الأخرى.

3-أبو هلال العسكري :

وإلـي ذلـك ذهـب أبـو الهـلال العسكري فـي إنكـاره للترادف، وقـال أن الاسـمين فـي اللغـة الواحـدة لايكونان مترادفين ، فو ترادفا لكان الاسم الثاني فضلًا لا يحتاج إليه، وجعل هذا تكثير للغة بلا فائدة.

قال:" كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منها يقتضـي غيـر مـا يقتضـيه الآخـر، وإلا لكـان الثـاني فضـلا لا يحتـاج إليـه". وقـال:" لا يجـوز أن يكـون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن ذلك تكثير للغة بلا فائدة فيه.

وذكـر الـدكتور إبـراهيم أنـيس إن سـبب إنكـار ابـن فـارس وأبـي هـلال العسكري وغيـرهم مـن أئمـة اللّغة للترادف هو أنهم كانوا من الاشتقاقيين، أي : يرجعوا كل كلمـة إلـي الأصـل الـذي اشـتقت منـه حتـي الاسماء الجامدة والأجنبية قال:" ويظهر أن السرّ في إنكار الترادف، إن أصحاب هذا الرأي كانوا من الاشـتقاقيين الـذين أسـرفوا فـي إرجـا ع كـل كلمـة مـن كلمـات اللّغـة إلـى أصـل اشـتقت منـه، حتـى الأسـماء الجامدة والأسماء الأجنبية عن اللّغة العربية، أبوا إلا أن يجعلوا لها أصلا اشتقت منه، فنراهم يقولون إن" إبليس" مشتق من كيت، "جهنم" مشتقة من كذا ويقولون إنما سمى الإنسان إنسانا لأنـه ينسـى، وسـمي الشيطان شيطانا لسبب تلمسوه هم واخترعوه".

وقد وجه الدكتور إبراهيم أنيس نقدا لاذعًا للفروق اللغوية التي وضعها مبطلوا الترادف، وقال أنها من وحي خيالهم، فقال:" نشك فـي كثيـر من تلك الفروق التـي سـاقها هؤلاء المؤلفون، ولا نكاد نرى فـي كتب هؤلاء العلمـاء شـواهد أو نصوصـاً قديمـة نسـتدل منهـا علـى مـا يمكـن أن يكـون بـين الـدلالات مـن فروق، وأغلب الظن إن ما تلمسوه من فروق لم يكن إلا من وحـي خيـالهم أو لعلهم عزَّ عليهم أن يروا

تلك الكثرة من الألفاظ المترادفة في اللّغة العربية، وحسبوها مما يشوّه اللّغة أو يوقع فيها اللبس والإيهام، فعمدوا إلى بعضها وفرقوا بين دلالاتها دون أن يكون لهم فيما صنعوه أي سند من نصوص اللّغة واستعمالاتها".

كما وجه نقده إلى(الفروق في اللّغة) لأبي هلال العسكري، فقال:" ويحاول بهذا أن يتلمس فروقا دقيقة بين مدلولات بعض الألفاظ المترادفة دون سند من نصوص أو شواهد، وليس عمله في هذا الكتاب إلا عمل الأديب صاحب الخيال الخصيب الذي يرى في الأمور ما لا يراه غيره، ويتلمس من ظلال المعاني ما لم يخطر على ذهن أصحاب اللّغة من القدماء".

بينما ذهب جماعة من علماء اللّغة إلى الموازنة بين القول بوقوع الترادف وبين إنكاره، وعللوا وقوع الترادف أنه من باب تداخل اللغات ولا يكون في لغة واحدة ومن هؤلاء:

– الأصفهاني(ت 502ه): إذ ذكر العلاّمة السيوطيّ إنه قال:" وينبغي أن يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فأما في لغتين فلا يُنكِرُه عاقلٌ"·

– ابن درستويه، فقال:" وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين،...أو أن يكون على معنيين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء".

ابن جني أختار هذا المذهب، فقال:" كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن يكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان من هنا وهنا ·

ومن اللغويين المحدثين من يشترط للترادف شروطًا، إن توافرت عدَّ اللفظان مترادفان، منها:

1- الاتفاق في المعنى بين الكلمات اتفاقا تاما، أي أن لا يكون بين اللفظيين فرق في المعنى في الأقل في ذهن الكثرة الغالبة في البيئة الواحدة.

2- الاتحاد في البيئة اللغوية، أي أن يكون اللفظان مما تكلم به في بيئة لغوية واحدة،أي أنهما ينتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات. وعلى هذا يجب ألا نلتمس الترادف من لهجات العرب المتباينة والمتباعدة كلغة أهل اليمن القديمة ولغة أهل الحجاز. ولكن جامعي اللّغة لم يأخذوا بهذا الشرط، بل عدّوا كل اللهجات وحدة متماسكة.

4-الاتحاد في العصر، أي أن يكون اللفظان مما تكلم به في عصر واحد، فالألفاظ المهجورة التي انقرضت لا يجوز أن تعد مرادفة للألفاظ الحية التي استعملت بدلا عنها، فإذا بحثنا عن الترادف يجب أن لا نلتمسه في شعر شاعر من العصر الجاهلي ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية مثلاً.

5- ولكن واضعي المعجمات لم يأخذوا بهذا الشرط أيضا، بل سجلوا اللفظ المنقرض وبجانبه اللفظ الحيّ، وعدّت اللفظتان مترادفتين.

4-أن لا يكون أحد اللفظيين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر، كما في((الجثل والجفل)) بمعنى النمل. إذ يمكن أن تعد إحدى الكلمتين أصلا والأخرى تطور لها. فالجثل والجفل ليستا في الحقيقة إلا كلمة واحدة، وكذلك ((ثوم وفوم)).

ولهذا أخرج المحدثون من الترادف كل الكلمات التي حدث فيها تطور صوتي وصارت تنطبق بعدة صور، وعدوها مترادفات وهمية، فإذا طبقت هذه الشروط على اللّغة العربية اتضح لنا إن الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة، وإنما يمكن أن يُتَلمس في اللغات النموذجية الأدبية.

ولا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يتلمسون في كل لفظة من ألفاظه شيئًا لا يرونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى.

وخلاصة القول أن المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في المعنى فحسب، إنما يرون أيضا إن مقياس الترادف في ألفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون أي تغيير في المعنى، وقد جعلوا من هذا مقياساً للتحقق من الترادف في الألفاظ، وهذا هو المفهوم الدقيق للترادف في فقه اللغة المعاصر.

ومن اللغويين الغربيين من يطبق نطاق الترادف إلى أبعد من ذلك فيرى أن اللفظتين إذا اختفلتا صوتيًا أوجب ذلك اختلافهما في المعنى، والمعنى عند هؤلاء اللغويين هو مجموعة من الخصائص والمميزات الذاتية للكلمة وما يتعلق بها خلال الاستعمال من ظلال ومعان هامشية.

ولو قمنا بموازنة بين فهم المحدثين للترادف – بهذه الشروط– وبين نظرة القدامى إليه، لظهر لنا إن القدماء قد أكثروا من الترادف إلى حد الإسراف" بسبب إغفالهم هذه الضوابط اللغوية التي قيد بها المحدثون فكرة الترادف. فقد كانت هذه الفكرة تتسع عندهم لكثير من الألفاظ إلى الحد الذي سمحوا فيه لمئات الكلمات بأن تترادف على المعنى الواحد أحيانا. بل إنهم قد تسامحوا في هذه الفكرة حتى شملت كثيراً من الكلمات المتقاربة في المعنى وأسماء الشيء الواحد ذات الاعتبارات المتباينة في الدلالة عليه. كما توهموا الترادف في الصور اللفظية المختلفة بسبب العوامل الصوتية".

غير إن هذا لا يعني إن جميع المحدثين متفقون على هذه النظرة إلى الترادف، بل نجد منهم من يذهب إلى خلاف هذه النظرة. منهم الدكتور محمود فهمي حجازي فإنه يرى إن المعنى الحديث للترادف إنما هو في الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة، وليس في اتفاق المعاني.

-أمثلة من القرآن:

ومن هذه الألفاظ:

1- الخوف والخشية: قال العلاّمة السيوطيّ: من ذلك الخوف والخشية ، لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك إن الخشية أعلى منه، وهي أشد الخوف، فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي يابسة.

والخوف من قولهم: ناقةٌ خوفاء، أي بها داء وهو نقص، ولذلك خصت الخشية بالله في قوله تعالى:﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾

كما فرق بينهما بقوله: إن الخشية تكون أعظم من المختشى، وإن كان الخاشي قويا، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمرا يسيرا، ودلل لذلك: إن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة، نحو: شيخ: للسيد الكبير، وخيش: لما خلط من اللباس، ولذلك وردت الخشية غالبا في حق الله:﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وأما قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه نكتة لطيفة، لأنه وصف للملائكة، ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظا شداداً فهم بين يديه تعالى ضعفاء، ثم أردفه بالفوقية الدالة على العظمة، فجمع بين الأمرين، ولما كان ضعف البشر معلوما لم يحتج إلى التنبيه عليه.

2- الشحّ والبخل، قال العلاّمة السيوطيّ: والشح: هو أشد البخل، قال الراغب: الشح: بخل مع حرص. وفرق العسكري بين البخل والضنّ: بأن الضن أصله أن يكون بالعواري، والبخل بالهبات، ولهذا يقال: هو ضنين بعلمه، ولا يقال: بخيل، لأن

العلم بالعارية أشبه بالهبة، ولأن الواهب إذا وهب شيئاَ خرج عن ملكه بخلاف العارية ولهذا قال تعالى:﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، ولم يقل بخيل.

3-السبيل والطريق، قال السيوطيّ: ومن ذلك السبيل والطريق، والأول أغلب وقوعاً في الخير ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلصّه لذلك كقوله تعالى:﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، وقال الراغب: السبيل: الطريق التي فيها سهولة، فهو أخص جَاءَ بِهِ حِمْلُ﴾وقوله:﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ ،وقوله:﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾

4- جاء وأتى، قال السيوطيّ: ومن ذلك جاء وأتى، فالأول يقال في الجواهر والأعيان،والثاني في المعاني والأذهان ولهذا ورد في قوله:﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ، وقوله:﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾، وأما قوله:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي أمره، فإن المراد به أهوال يوم القيامة المشاهدة، وكذا قوله:﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ لأن الأجل كالمشاهد ولذا عبر عنه بالحضور في قوله تعالى:﴿جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ* وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، لأن الأول العذاب، وهو مشاهد مرئي بخلاف الحق، وقال الراغب: الإتيان: مجيء بسهولة، فهو أخص من مطلق المجيء منه قيل للسيّل المارّ على وجهة: أتاوىّ وأتىّ.

5- مدّ وأمدّ، قال السيوطيّ: ومن ذلك مدّ وأمدّ: قال الراغب: أكثر ما جاء الإمداد في المحبوب نحو:﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾ ،والمدّ في المكروه نحو:﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً﴾.

6- عمل وفعل، قال العلامة السيوطيّ: الأول لما كان مع امتداد زمان نحو: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾، و﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾، لأن خلق الأنعام والثمار والزروع بامتداد، والثاني بخلافه نحو:﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ، و ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، و﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِم﴾، لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء. وقوله:﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، أي في طرفة عين، ولهذا عبر في الأول في قوله:﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذ كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة وبسرعة، وبالثاني في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، إذ كان المقصود يأتون بها على السرعة من وبالثاني في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، إذ كان المقصود يأتون بها على السرعة من غير توانٍ.

7- القعود والجلوس، قال السيوطيّ: الأول لما فيه لبث بخلاف الثاني، ولهذا يقال: قواعد البيت، ولا يقال جوالسه للزومها ولبثها، ويقال جليس الملك، ولا يقال قعيده، لأن مجلس الملوك يستحب فيها التخفيف، ولهذا استعمل الأول في

قوله تعالى:﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ، للإشارة إلى إنه لا زوال له، بخلاف قوله:﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾لأنه يجلس فيه زمانا يسيرًا.

8- التمام والكمال، قال السيوطيّ: قد اجتمعا في قوله تعالى:﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل،

ولهذا كان قوله تعالى:﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، أحسن من تامة، لأن التمام من العدد قد علم، وإنما نفي احتمال نقص في صفتها، وقيل: تمّ يُشعر بحصول نقص قبله، وكمل لا يُشعر بذلك.

وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتمام اسم لجزء الذي يتم به الموصوف، ولهذا يقال للقافية: تمام البيت، ولا يقال كماله، ويقولون: البيت بكماله أي باجتماعه.

9- الإعطاء والإتيان، قال السيوطيّ: من ذلك الإعطاء والإتيان، قال الخوبي: لا يكاد اللغويون يفرّقون بينهما، وظهر ليّ أن بينهما فرقاً ينبئ عن بلاغة كتاب الله، وهو إن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطاوع، تقول أعطاني فعطوت، ولا يقال في الإيتاء" مِنْ أتاني فأتيت وإنما يقال: أتاني فأخذت.

والفعل الذي له مطاوع، أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له، لأنك تقول: قطعته فأنقطع، فيدل على إن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول في المحلّ، ولولاه ما ثبت المفعول، ولهذا يصح قطعته فما نقطع، ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك، فلا يجوز ضربته فأنضرب، أو فما انضرب، ولا قتلته فانقتل، ولا فما انقتل، ولأن هذه الأفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحلّ، والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها، فالإتيان أقوى من الإعطاء.

وقال: وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعى، قال تعالى:﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾' لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوّة، وكذلك قوله:﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ ، وقوله:﴿آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ

الْمَثَانِي﴾ لعظم القرآن وشأنه، وقال:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ[4]، لأنه مورد في الموقف مرتحل عنه قريبا إلى منازل العز في الجنة، فعبر فيه بالإعطاء ولأنه يترك عن قرب، وينتقل إلى ما هو أعظم منه.

وذكر العلاّمة السيوطيّ إنه يجوز وقوع كل من الرديفين مكان الآخر، ما لم يكن متعبدًا بلفظه كـ﴿إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فلا يجوز(لا إله إلا الرحمن) و﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾فلا يجوز (احمد رسول الله).

وبهذا يكون العلاّمة السيوطيّ قد أخرج مجموعة من الألفاظ التي عُدَّت مترادفة أو ظن أنها من الترادف، بعد أن أوجد الفوارق بين معاني هذه الألفاظ، ولأن الترادف عنده هو الاتحاد التام في المعنى، لذلك لا تكون هذه الألفاظ مترادفة.

وبهذا يضع السيوطيّ النقاط على الحروف في قضية الترادف في اللّغة، على إن الذي يجب أن يقال هنا: إن السيوطيّ أشبع القول بالترادف حينما تناوله في كتابه (المزهر) على حين ترك الحديث عنه في كتابه (معترك الأقران) مكتفيا منه بما ذكره من الكلمات القرآنية السابقة التي يظن أنها من المترادف وليست منه.

المشترك اللفظي

أولًا: مفهوم المشترك:

(أ) <u>المشترك اللفظي لغةً:</u>

ورد في معجم العين معني الاشتراك، الشرك ظلم عظيم، والشركة مخالفة الشريكين، واشتركا بمعني تشاركا، وجمع شريك شركاء قال لبيد:

تَطيرُ عدائِدُ الإشراك شفعًا ووتْرًا والزَّعامةَ للغلامِ .

وتقول لأم المرأة: هذه شريكتي، وفي المصاهرة تقول: رغبنا في شرككم وصهركم.

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة(ش ر ك):

" الشِّرْكَة والشّركة سواء: مخالطة الشريكين، يقال اشتركنا بمعني:تشاركنا، وقد اشترك الرجلان، وتشاركا وشارك أحدهما الآخر 000وشاركت فلاناً : صرت شريكه، واشتركنا وتشاركنا في كذا، وشركته في البيع والميراث 000قال: ورأيت فلانًا مشتركًا، إذا كان يحدث نفسه أن رأيه مشترك ليس بواحد".

يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: "الشين والراء والكاف أصلا ،أحدهما يدل علي مقارنة وخلاف انفرادٍ، والآخر يدل علي امتدادٍ واستقامةٍ.فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال:شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكا لك ، قال الله جل ثناؤه في قصة موسي {وأشركه في أمري}، ويقال في الدعاء: اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشركت الرجل في الأمر أشركته.

وروي عن النبي(ص) أنه قال: " الناس شركاء في ثلاث: الكلأ والماء والنار "

هذا هو المعني الحقيقي للمشترك، وما بقية المعاني إلا من الاستعمالات المجازية للكلمة.

ثانيًا:المشترك اللفظي اصطلاحًا:

الأصل في اللغة العربية أن يعبر باللفظ الواحد عن معني واحد، هذا هو المنطق العقلي الذي يتصل بوضع الألفاظ إزاء المعاني، إلا أن الاستعمال اللغوي قد جري في أحيان

كثيرة علي خلاف هذا الأصل، فقد جاءت في العربية ألفاظ كثيرة دل كل منها علي أكثر من معني وقد أطلق علي هذا النمط مصطلح " المشترك اللفظي" ووضع لع العلماء عدة تعريفا منها :

أ-من تعريفات القدماء للمشترك اللفظي:

(1)سيبويه ت(180هـ):

أول إشارة إلى المشترك اللفظي في تقسيم سيبويه للألفاظ، ووصفه بـ" اتفاق اللفظيين والمعنى مختلف".

(2) العلاّمة السيوطيّ ت(911هـ):

وذكر العلاّمة السيوطيّ تعريف أهل الأصول للمشترك اللفظي، فقال:" بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة" .

(3) ابن فارس(ت 395هـ) : وصفه أيضاً بـ" اتفاق اللفظيين واختلاف المعنى"

(4) الشوكاني ت(1250هـ) : عرفه أنه " اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين، أو أكثر 000".

(5)السرخسي:

"وأما المشترك، فكل لفظ يشترك فيه معان، أو أسام ، لا علي سبيل الانتظام، بل علي احتمال أن يكون كل واحد، هو المراد به علي الانفراد، وإذا تعين الواحد مرادًا به، ، انتفي الآخر، مثل اسم(العين) فإنه للناظر، ولعين الماء، وللشمس، وللميزان، وللنقد من المال، وللشيء المعين، لا علي أن جميع ذلك مراد بمطلق اللفظ، ولكن علي احتمال كون كل واحد مرادًا بانفراده عند الإطلاق، وهذا لأن الاسم يتناول كل واحد من هذه الأشياء باعتبار معني، غير المعني الآخر 000".

ب) ومن تعريفات المحدثين للمشترك اللفظي:

اعتني المحدثون بالمشترك اللفظي ودراسته، فقد عرفوا الاشتراك، ولم يختلفوا في وجوده، بل أنهم أقروه في جميع اللغات، وبينوا أثر السياق في تحديد أحد معانيه، وإنما كان منهم الموسع لدائرة الاشتراك ومنهم المضيق، ثم بحثوا في أسبابه، وآثاره الإيجابية والسلبية, تناول اللغويون المحدثون تعريف الاشتراك من هو أن يدل اللفظ الواحد علي أكثر من معنى، وزاد بعضهم: دلالة علي السواء عند أهل اللغة وأضاف آخرون: بأن يكون وضعًا أولًا، أو أن يكون الاشتراك علي طريق الحقيقة لا المجاز .

عرفه د. عبد الواحد وافي:

" وذلك بأن يكون للكلمة الواحدة عدة معانٍ تطلق علي كل منهما علي طريق الحقيقة لا المجاز، وذلك كلفظ الخال)

الذي يطلق علي أخي الأم، وعلي الشامة في الوجه، وعلي السحاب، وعلي البعير الضخم، وعلي الأكمة الصغيرة000".

ونرى تعريف المشترك اللفظي أنه " كل لفظ مفرد يدل بترتيب حروفه وحركاته علي معنيين فصاعدًا دلالة خاصة، في بيئة واحدة، وزمان واحد، ولاربط بين تلك المعاني رابط معنوي أو بلاغي، فإن لكل لفظة في هذا التعريف غر ض معين، فاللفظ المفرد يخرج التركيب الإسنادي والتركيب الإضافي، وترتيب الحروف يخرج القلب المكاني، والدلالة الخاصة تخرج العلاقة بين العام والخاص، والبيئة الواحدة تخرج اختلاف اللغات، والزمان الواحد يخرج التطور الدلالي والصوتي، والرابط المعنوي يخرج الاشتقاق من أصل واحد، والرابط البلاغي يخرج المجاز والاستعارة والكناية والتورية وما شاكل ذلك من الدلالات البلاغية.

ثانيًا: أسباب وجود الاشتراك:

الاشتراك الذي هو دلالة لفظ واحد على معنيين أو أكثر – أمر واقع في اللغة، شاء من شاء وأبى مَنْ أبى من اللغويين، فشواهد الاشتراك أكثر من أن تحصى؛ وقلَّ أن تستخدم كلمة في اللغة بمعنى واحد، فكثير من الكلمات يكون للواحدة منها عشرات من المعاني، تختلف باختلاف السياقات اللغوية التي ترد فيها.

أما أسباب وجود المشترك في اللغة، فهي نفسها – تقريبًا – الأسباب التي أدت إلى وجود الترادف، ونجملها في أربعة أسباب، نعرض لها بالتفصيل:

أ–اختلاف القبائل العربية:

لاشك في أن اختلاف القبائل العربية يعد أحد أسباب نشأة الاشتراك اللفظي؛ لأن اختلاف القبائل جغرافياً يصاحبه اختلافٌ في لغاتها أو لهجاتها، فنجد اختلاف الألفاظ الدالة على شيء واحد من قبيلة إلى أخرى، وهو ما يعرف بالترادف، ونجد اختلاف المعنى الذي يدل عليه لفظ في قبيلة عن المعنى الذي يدل عليه اللفظ نفسه في قبيلة أو قبائل أخرى.

وقد أشار ابن السراج إلى هذا العامل من عوامل نشأة الاشتراك، فهو يرى " أن الحي أو القبيلة ربما انفرد القوم منهم بلغة، ليس سائر العرب عليها، فيوافق اللفظَ في لغة قوم، وهم يريدون معنى، لفظٌ آخر من لغة آخرين، وهو يريدون معنى آخر، ثم ربما اختلطت اللغات، فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء، وهؤلاء لغة هؤلاء.

ومما استشهد به اللغويون في هذا الصدد، كلمة الأَلْفَت التي تطلق في لغة قيس على الأحمق، وفي قبيلة تميم على الأعسر، وكلمة الهجرس التي تعني عند الحجاز القرد، وعند

بني تميم الثعلب، ولفظة السليط التي تدل على الزيت عند عامة العرب ، ودهن السمسم عند أهل اليمن وكلمة السّرحان التي تدل على الذئب عند عامة العرب، وعلى الأسد عند هذيل.

والواقع اللغوي في عصرنا الحديث يؤكد أن اختلاف القبائل له دور في ظهور المشترك، فكلمة عيش مثلاً تستخدم في مصر بمعنى الخبز، وتستخدم في ليبيا بمعنى الأرز، وكلمة الموس تعني شفرة الحلاقة في مصر؛ وتدل على السكين في ليبيا، ولفظة خشم في مصر – وبخاصة الصعيد – تعني الفم، وفي ليبيا تعني الأنف؛ والبطاطا في مصر، تعني البطاطس في ليبيا، وكلمة الفرخة في العامية المصرية الدجاجة، وفي العامية الليبية المرأة السيئة، والدَّبَش تطلق على الأحجار أو بقايا الهدم في العامية المصرية، وتطلق على المتاع أو أثاث البيت في ليبيا.

ب–التطور الصوتي للكلمات:

التطور الصوتي الذي أدى إلى تحول كلمة واحدة إلى كلمتين مثل هتل وهتن يمكن أن يؤدي إلى تحول كلمتين مختلفتين لفظاً ومعنى إلى كلمة واحدة، وتطلق هذه الكلمة على المعنيين معًا.

والتطور الصوتي الذي يؤدي إلى الاشتراك اللفظي له شكلان، أحدهما الإبدال، والآخر القلب المكاني. أما الإبدال فيعني أن تكون الكلمتان المختلفتان لفظاً ومعنى مختلفتين

في صوت لغوي واحد، فيتطور هذا الصوت في إحدى الكلمتين إلى نظيره في الكلمة الأخرى، فتصبح كلمة واحدة، دالة على المعنيين معاً، المعنى الأصلي لها، ومعنى الكلمة الأخرى المتطورة.

ومن أمثلة الإبدال: حَنَك بمعنى " باطن أعلى الفم من داخل، وحَلَك بمعنى شدة السواد كلون الغراب حيث استخدمت حَنَك للدلالة على معناها هي نفسها، ومعنى حَلَك، "وحَنَك الغراب منقاره أسود كحنك الغراب، وهذا يعني أن اللام في حلك تطورت إلى النون، فصارت حنك، فأشبهت كلمة حَلَك (بعد تطورها إلى حَنَك) كلمة حَنَك التي بمعنى سقف الفم، وصارت حَنَك تطلق على المعنيين جميعاً، وصارت من المشترك.

ومن الإبدال الذي أدى إلى الاشتراك كلمة الفروة التي تعني في المعجم" جلدة الرأس ... والغني" ، ودلالة الفروة على الغنى إنما هي نتيجة لتطور كلمة أخرى تدل على الغنى وهي كلمة الثروة ، فالأصل أن هناك كلمتين إحداهما تدل على جلدة الرأس وهي الفروة ، والأخرى تدل على الغنى وهي الثروة ، فلما تطورت الثروة إلى الفروة ، بتطور الثاء إلى فاء ، مثل الحثالة والحفالة ، والجثل والجفل ، وثُمّ وفُمّ ، والأثاثي والأثافي – أشبهت كلمة الفروة، فصارت كلمة واحدة (وهي الفروة) تطلق على المعنيين جميعًا.

أما الشكل الثاني من أشكال التطور الصوتي، وهو القلب المكاني، فيعني أن تكون الكلمتان المختلفتان لفظًا ومعنى متفقتين في عدد الحروف ونوعها، غير أنهما مختلفتان في ترتيب هذه الحروف، فتتطور إحدى الكلمتين بتغيير ترتيب حروفها، بحيث تصبح على صورة الكلمة الأخرى في ترتيب حروفها، وتصبح الكلمتان الأصلية والمتطورة كلمةً واحدة تطلق على المعنيين على حد سواء(معنى الأصلية، ومعنى المتطورة قبل تطورها) مثل كلمة خاط التي تستخدم للدلالة على الخطو والخياطة، وتفسير ذلك أن الفعل الدال على الخطو هو خطا، والدال على الخياطة هو خاط، غير أن "خطا" تطور عن طريق القلب المكاني بجعل الألف مكان الطاء أو الطاء مكان الألف، فأصبح خاط، وأصبحت كلمة خاط الأصلية الدالة على الخياطة وخاط المتطورة عن خطا مشتركًا لفظيًا.

جـ-الاستعارة من اللغات الأجنبية:

أؤكد ما سبق أن ذكرته في أثناء الحديث عن الاستعارة من اللغات الأجنبية بوصفها أحد أسباب الترادف، أن أبناء اللغات المختلفة يختلطون بعضهم ببعض، وقد يؤدي هذا الاختلاط إلى أن تستعير إحدى اللغات ألفاظاً من لغة أخرى، وتستخدم الألفاظ المستعارة جنبًا إلى جنب مع الألفاظ الأصلية والتي تصبح مرافة لها.

غير أن بعض هذه الألفاظ الأجنبية قد يشبه في نطقه لفظاً في اللغة المستعيرة له، ويصبح اللفظان الأجنبي والأصيل لفظاً واحداً، يدل عند إطلاقه على المعنيين معاً : المعنى

الذي يدل عليه اللفظ الأصيل، والمعنى الذي كان يدل عليه اللفظ الأجنبي في لغته، يذكر الدكتور رمضان عبد التواب أن اللفظ الألماني Kallb كَلْب بمعنى عجل لو استعارته العربية، لصارت كلمة كلب في العربية تطلق على الكلب المعروف، والعجل.

ومن الكلمات التي استعارتها العربية كلمة الحُبّ وهي تعني في الفارسية الجَرَّة التي يجعل فيها الماء، فصارت كلمة الحب في اللغة العربية تطلق على الوداد، وجَرّة الماء واستعارت العربية كلمة السُّور من الفارسية وهي تعني الضيافة، وفي العربية تعني الحائط فصارت تطلق على المعنيين، وكلمة السَّكْر تعني في الآرامية سَدّ الشق، وفي العربية نقيض الصحو، فصارت الكلمة تطلق على المعنيين.

د-الاستعمال المجازي للألفاظ:

الألفاظ في اللغة لها استعمالان استعمال حقيقي، واستعمال مجازي، أما الاستخدام الحقيقي فيعني دلالة اللفظ على ما وضع له في أصل اللغة، والاستخدام المجازي يعني دلالته (اللفظ) على غير المعنى الموضوع له في الأصل، ذلك أن " الحقيقة ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك[1]، أو بعبارة ابن الأثير:" فأما الحقيقة فهي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي، وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى

الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه.

وعلى الرغم من أنه لا سبيل إلى القطع برأيٍ في نشأة الألفاظ واقترانها بمعان محددة بحيث تصبح هذه الألفاظ حقيقية عند إطلاقها على هذه المعاني، ومجازًا عند إطلاقها على معان غيرها – فإن الذي لا شك فيه أنه بالنظر إلى المعاني المتعددة للكلمة الواحدة، يُلاحظ أحياناً وجود صلة حسية أو معنوية بين هذه المعاني، مما يغري بالقول بأن أحد هذه المعاني يعد حقيقيًا وبقية المعاني تعد مجازية.

وكلمة العين، وهي أشهر كلمات المشترك، تقدم لنا دليلاً بيناً على صحة هذا، فالعين تدل على عضو الإبصار في الإنسان والحيوان، ولو نظرنا إلى المعاني الأخرى لها، لوجدنا بينها وبين عين الإنسان صلة، فعين الإنسان بخصائصها من استدارة، وإحاطة الرموش بها، ونزول الدموع منها، ووجودها في الرأس وهو أعلى الجسد – استعيرت للدلالة على أشياء لها صلة بخصائصها، فأطلقت على الدينار لمشابهته لها في الاستدارة، وكذا عين الشمس وعين الركبة، وأطلقت على الينبوع، لاستدارته، ووجود ماء به يشبه دموع العين، وإحاطة حشائش به تشبه رموشها؛ وأطلقت على السيد الشريف، لمشابهته إياها في المقام والمنزلة، فمقامه في قومه عالٍ علو العين في الجسد، ... إلخ.

وإذًا، فدلالة العين على هذه المعاني كلها، مرده إلى استعمالها استعمالاً مجازياً في هذه المعاني. وقد أشرت من قبل إلى أن فريقاً من القائلين بالاشتراك، يشترطون عدم وجود صلة بين المعاني التي تدل عليها الكلمة؛ ولذلك فهم لا يعدون كلمة العين من المشترك.

ثالثًا: موقف العلماء حول المشترك اللفظي.

اختلف علماء اللغة قدامي ومحدثون في ظاهرة الاشتراك اللفظي وذهبوا فيها مذاهب شتي ، فبعضهم اعترف بها وقال بوجودها في اللغة العربية، وقد ذهب فريق آخر للقول بعد وجودها في اللغة الواحدة، ولكِل رأيه وحجته التي استند عليها.

أوَّلًا: علماء العربية القدامى:

أ –القائلون بالاشتراك اللفظي من علماء العربية:

تشهد كتب اللغة خلافًا بين العلماء في إثبات الاشتراك اللفظي وإنكاره، غير أن الرعيل الأول من اللغويين أثبته، وضرب عليه أمثلة، بل وأفرد له مصنفات تجمع ألفاظه، وكان علي رأس هذا الفريق الخليل وسيبويه وأبو عبيدة والثعالبي والمبرد وغيرهم.

1–سيبويه(ت180هـ):

يقول سيبويه مقسمًا الألفاظ: "اعلم أنَّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعني واحدٌ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين،...فاختلاف اللفظين

لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعني واحدٌ نحو : ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعني مختلف قولِك : وجدت عليه من الموجده، ووجدت إذا اردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثيرٌ .

يذهب سيبويه إلي تقسيم وجوه العلاقة بين الألفاظ والمعاني إلي:

- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين (متباين)، مثل له ب: جلس وذهب.
- اختلاف اللفظين والمعني واحد(ترادف)، مثل له ب: ذهب وانطلق.
- اتفاق اللفظين والمعني مختلف (اشتراك لفظي)، مثل له ب: وجدت من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة.

واكتفي سيبويه بهذه الإشارة إلي المشترك من غير تقعيد أو تنظير للمصطلح، وهكذا شأن البدايات، إذ تكون غير واضحة المعالم" .

2-أحمد بن فارس(ت395هـ):

وسع ابن فارس في مفهوم سيبويه السابق ذكره بقوله: "ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعني، كقولنا: عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان، 000

3-ابن جني (ت392هـ):

يقول ابن جني: " من، ولا، وإن، ونحو ذلك لم يقتصر بها علي معني واحد؛ لأنها حروف وقعت مشتركة، كما وقعت الأسماء مشتركة؛ نحو الصَّدي؛ فإنه ما يعرض الصوت، وهو بدن الميت، وهو أيضًا الرجل الجيد الرعية للمال في قولهم: هو صدي مالٍ000مما اتفق لفظه واختلف معناه، وكما وقعت الأفعال مشتركة، نحو: وجدت في الحزن، ووجدت في الغضب، ووجدت في الغني، ووجدت في الضالة، ووجدت بمعني علمت، ونحو ذلك، فكذلك جاء نحو هذا في الحروف، وبهذا يثبت ابن جني الاشتراك للحروف، والأسماء، والأفعال علي حد سواء.

4-السَّيوطيّ (ت911هـ):

ومن المعترفين بظاهرة الاشتراك اللفظي المؤيدين لها السّيوطي الذي عرفها بقوله: "إن المشترك اللفظي هو اللفظ الواحد الدال علي معنيين مختلفين فأكثر،دلالة علي السواء عند أهل اللغة.

يلاحظ هنا أن السيوطي أضاف قوله: "علي السواء عند أهل تلك اللغة" فهو يذهب إلي أن اللغة الواحدة يمكن أن تجعل من اللفظ الواحد معنيين مختلفين في زمنٍ واحدٍ دون أن يكون هنالك تطور عن طريق المجاز أو أن تأتي به من لغات مختلفة .

وقد ذكر العلاّمة السيوطيّ أمثلة للمشترك اللفظي، منها:

العمّ: أخو الأب، والعمّ: الجمع الكثير، قال الراجز:

يا عامر بن مالك يا عمّا أفنيت عمّاً وجبرت عمّ

فالعم الأول أراد به: يا عماه، والعم الثاني: أراد به أفنيت قوما وجبرت آخرين.

وللنوى مواضع: النوى: الدار، والنوى: النية، والنوى: البعد.

والأرض: الأرض المعروفة، وكل ما سفل فهو أرض، والأرض: أسفل قوائم الدابة، والأرض: النفضة والرعدة، قال ابن عباس في يوم زلزلة: أزلزلت الأرض أم بيّ أرض، والأرض: الزكام، ولأرض: مصدر أَرضِتْ الخشبة تؤرضها أرضاً فهي مأروضة إذا أكلتها الأرضة.

والهلال: هلال السماء، وهلال الصيد، وهو شبيه بالهلال يُعَرْقَب به حمار الوحش، وهلال النعل: وهو الذُّؤَابة، والهلال: القطعة من الغبار، وهلال الإصبع: المطيّف بالظفر، والهلال قطعة رحى، والهلال: الحية إذا سلخت، والهلال: باقي الماء في الحوض، والهلال: الجمل الذي قد كثر الظّراب حتى هزل.

وقال العلاّمة السيوطيّ: ومن الألفاظ المشتركة في معاني كثيرة العين، ثم ذكر مجموعة كثيرة من الألفاظ المشتركة في معنى العين، منها:

العين: النقد من الدراهم والدنانير ليس بعرض، والعين: مطر أيام لا يقلع، يقال: أصاب أرض بني فلان عين، والعين: عين الإنسان التي ينظر بها، والعين: عين البئر، وهو مخرج مائها، والعين: القناة التي تعمل حتى يخرج ماؤها، والعين: الفوارة التي تفور من غير عمل، والعين ماء عن يمين القبلة قِبلة أهل العراق، ويقال: نشأت السماء من العين، والعين: عين الميزان.

ب-المنكرون للاشتراك اللفظي من علماء العربية:

ذهب فريق من اللغويين إلي إنكار المشترك اللفظي أو تضييق دائرته تضييقًا شديدًا منهم :

1-ابن درستويه (ت347هـ):

من أبرز المنكرين لوجود المشترك اللفظي في اللّغة، قال:" إذا أتفق البناءان في الكلمة والحرف، ثم جاءا لمعنيين مختلفين لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد يشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى"

وأكد ابن درستويه إنكاره للمشترك – في موضع آخر- برفضه أن يكون لفظ (وجد) من المعاني المختلفة، إذ تناوله برده إلى معنى واحد، فقال:" فظن من لم يتأمل المعاني، ولم

يتحقق الحقائق، إن هذا اللفظ قد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا" .

ثم يذكر إن سبب إنكاره للمشترك هو إنه " لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية".

وقد وصف الدكتور صبحي الصالح موقف ابن درستويه بأنه مسرف في إنكاره.

في حين قال عنه الدكتور إبراهيم أنيس: أنه كان محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدّت من المشترك اللفظي.

غير إن ابن درستويه صرح في – موضع آخر – بمجيء المشترك، إما في لغتين متباينتين، أو لعلل وأسباب أخرى، فقال:" إنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان، وخفي سبب ذلك على السامع000".

ويذهب الباحث نور الدين المنجد إلي أن " هذا ملمح جديد في معالم المشترك عند ابن درستويه، ألا وهو المعني العام الذي يستغرق أبعاضه، فكان ابن درستويه يرد المعاني المختلفة إلي أصل واحد يضم تلك الفروع، ويعتمد عليه في إنكار المشترك..

ومن هذا القول نتبين إن ابن درستويه لم ينكر وجود المشترك اللفظي إنكارا قاطعا، وإنما يمكن تفسير موقفه من المشترك بأنه أنكر المشترك في أصل الوضع، وهذا واضح من قوله السابق، وإلى هذا ذهب كثير من علماء اللّغة .

-أبوعلي الفارسي(ت377هـ):

والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي(ت 377هـ) فقال:" اتفاق اللفظيين واختلا المعنيين ينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت أو أن تكون اللفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل000".

وبهذا يكون اللغويون القدامى مجمعين على وجود المشترك اللفظي في اللّغة العربية، وأن ظاهر موقف المنكرين ينبغي أن يحمل على إنه إنكار بأصل الوضع فحسب، وعلى هذا الأساس نفهم ما قاله الدكتور احمد مختار عمر: لم يثر أي جدل بين اللغويين العرب في وجود المشترك اللفظي في اللّغة العربية بل انعقد إجماعهم على وجوده.

نماذج من المشترك اللفظي في القرآن الكريم:

بعد أن عرفنا معنى المشترك اللفظي والتداخل فيما بين الألفاظ والمصطلحات ، يحسن بنا أن نعرض نماذج من الألفاظ والمصطلحات التي حصل فيها المشترك اللفظي في استعمال القرآن.

1- كلمة (الصّلاة):

((الصلاة – في الأصل- الإقبال على شيء ومنه(الركوع)ومنه التعظيم والتضرع والدعاء) وهي كلمة قديمة بمعنى الصلاة والعبادة ، وقد جاءت في الكلدانية بمعنى الدعاء والتضرع ،وفي العبرانية بمعنى الصلاة والركوع ، ومن هذا الأصل (صلي النار)بمعنى أقبل عليها ، ثم بمعنى دخل النار كما قال تعالى (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وأيضا قوله(وَيَصْلَى سَعِيرًا) ومنه(التصلية) كما قال تعالى(وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ)(واستعملت العرب كل ذلك))

وكلمة الصلاة من المشترك اللفظي وله معان عدة:

أ – الدعاء: مع أن القرآن الكريم استعمل لفظ(الصلاة) بمعناه الشرعي في كثير من الآيات، إلا أنه استعمله أيضا في بعض الآيات بمعناه اللغوي ، ومنه الدعاء قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)أي أدع لهم لأن في دعائك راحة واستقرارا لهم((ادع لهم بالمغفرة لذنوبهم؛ لأن دعاءك

واستغفارك طمأنينة لهم، بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم))، وقيل أن((الصلاة في هذه الآية بمعنى الاستغفار، أي أن استغفارك سكن لهم))ونرى أن الدعاء والاستغفار، سيّان، طالما أن الاستغفار هو طلب المغفرة، والطلب إن كان من العبد إلى ربه كان دعاءً.

ب – الصلاة المعروفة: ويراد بها المعنى الاصطلاحي الشرعي وهي أقوال وأفعال مبتدأه بالتكبير مختتمة بالتسليم، وعلى ذلك جاءت الآيات الكثيرة التي تدعو إلى إقامة الصلاة لقوله تعالى(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) ومنه قوله تعالى(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) وقوله تعالى(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) أي((الصلوات المكتوبة في أوقاتهن)

ج – المغفرة والاستغفار: ومنه صلاة الملائكة على النبي ، حيث أريد بها الاستغفار له، وهو نوع من الدعاء أن يغفر الله له ، وهو مستفاد من قول الله تعالى في وصف الملائكة

(ويستغفرون للذين آمنوا)ومثل ذلك قوله تعالى(أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)، أي مغفرة من ربهم ورحمة((والصلاة : الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة))وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا)فالصلاة في هذه الآية الكريمة بمعنى المغفرة ((أي أن الله يرحم النبي وتدعو له ملائكته ويستغفرون)).

د- مكان تعبّد اليهود: قال تعالى (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)، قال الطبري في تفسيره ((والصلوات تعني كنائس اليهود أو مساجد الصابئين)).

2- كلمة(أمّة):

من المشترك اللفظي الذي أطلق في اللغة على عدة معان.فقد جاء في كتب اللغة أن ((الأمة : الرجل الجامع للخير والإمام, والجماعة أرسل إليهم رسول .والجيل من كل حي. والجنس.ومن هو على الحق مخالف لسائر الأديان. والحين.والقامة. الأم. والوجه. والنشاط. والطاعة، والعالم. ومن الوجه:معظمه ومن الرجل:قومه. وأمة الله تعالى :خلقه)). ومن معانيها في القرآن الكريم:

أ- الدين أو السنّة أو الملة: وقد جاء استعمالها في القرآن الكريم في عدة آيات ، بعضها يراد به ملة الإسلام , وبعضها يراد به ملة الكفر, ومن هذه الآيات قوله تعالى (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)جاء في الكشاف((إنا وجدنا آباءنا على أمة) على دين، وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأمّ وهو القصد، فالأمة الطريقة التي

تؤمُّ أي تقصد)أي وجدنا آباءنا على ملة , يقول الطبري في تفسير هذه الآية ((بل وجدنا آباءنا على دين وملة ,وذلك هو عبادتهم الأوثان)).

ب- الجماعة من الناس: ومنه قوله تعالى ((وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ))أي ((وجد فوق شفير هو مستقاه (أمة) جماعة كثيفة العدد من الناس))، وفي موطن آخر يقول الله تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ))((ويعني بالأمة في هذا الموضع بالجماعة)).

ج – الرجل المنفرد الذي لا نظير له: وقد ورد في القرآن الكريم في آية واحدة ، وهو قوله تعالى(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)أي (إن إبراهيم خليل الله كان معلم خير يأتم به أهل الهدى) قال الشوكاني:(الأمة الرجل الجامع للخير).

د- المدّة من الزمن: قال تعالى(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)(كلمة أمة في هذه الآية الكريمة تعني مدّة زمنية(بعد أمّة) بعد مدّة طويلة) قال الصابوني في مختصره ((بعد أمّة أي مدّة)).

3-كلمة (الأمر) ومن معانيها:

أ- القول: قال الله تعالى(وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى

أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) يتنازع الناس أمرهم أي يتنازعون القول في شأنهم ، وأن الله تعالى أعلم بهم من كلام المتنازعين فيما آلت إليه أحوالهم. وفي موطن آخر من القرآن الكريم قال تعالى(فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى أي أن قوم فرعون قد تنازعوا القول فيما بينهم، ليخرجوا بما سيواجهون به موسى عليه السلام في أمر تحديه إياهم.

ب–الدين: قال تعالى (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُون جاء في الكشاف (أي جعلوا دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزّع الجماعة ويقتسمونه)أي دينهم الإسلام الذي أمروا به ودخلوا في غيره).

ت–الموت: قال تعالى:(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) قال الزمخشري:(حتى جاء أمر الله) وهو الموت)) وجاء في تفسير الصابوني((أي مازلتم في هذا حتى جاءكم الموت)).

ث– الشيء أو الحكم: قال تعالى(ما كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)أي إذا أراد فعل شيء كان له ذلك, مثل خلق عيسى عليه السلام, وقال عز شأنه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ

الْمُبْطِلُونَ)، أي إذا جاء حكم الله عز شأنه بقتل المشركين ببدر كما جاء في تفسير الدامغاني.

ج- الحكم: قال الله تعالى(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)، قال الزمخشري((أي يجري أمر الله وحكمه بينهن, وملكه ينفذ فيهن, ففي كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه).

ح- الوحي:قال الله تعالى(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)((يعني أن الوحي يتنزل بين هذه السماوات أي الوحي بالرسالات).

خ- القيامة: قال الله تعالى(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) وكلمة أمر هنا تعني يوم القيامة, وقد جاءت بصيغة الماضي لتأكيد مجيئه وحصوله؛ ذلك لأن الشيء المستقبل, إن لم يكن هناك ريب في حصوله , أمكن التعبير عنه بالماضي

د- الذنب: قال تعالى:(فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا أي ذاقت عاقبة ذنبها وجزاءه, نتيجة عتوها عن أمر الله , وتبليغ رسله ، كما جاء في الآية السابقة لهذه الآية

((وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا)

ذ- التسلط : قال الله تعالى(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) ويقول ابن عباس في هذه الآية((سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بعذاب)).

ر- ومن معانيه الأمر بعينه : قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا).

4- كلمة (الحساب) :وهي من المشترك اللفظي ومن معانيها :

أ-الثواب والجزاء :قال الله تعالى(إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) في الآية الكريمة ردّ على قوم نوح – عليه السلام – الذين رفضوا اتباع نبيهم واتهموا من اتبعوه بأنهم أراذل، فجاء الرد الإلهي بأن أجر هؤلاء على الله خالقهم .

ب-العرض على الله تعالى :قال الله عز وجل على لسان إبراهيم – عليه السلام-(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) والحساب يعني يوم العرض على الله تعالى .

ت-الميزان والمكيال :قال الله تعالى(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)أي أنهم يرزقون بغير تقتير في الرزق منّه فيه.

أ–العطاء الكثير الكافي :قال الله تعالى(جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا) إن هذا العطاء كان لسد حاجتهم ((أي عطاء كثيرا يكفي حاجتهم)

ب– العدد: قال تعالى(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) ومعنى الحساب(أي لتعلموا عدد الأيام).

5– كلمة(البهتان): ومن معانيها في القرآن الكريم:

أ–الظلم:قال الله تعالى (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)أي أتأخذونه ظلما وحراما ذلك لأنه من حقهن ولا يجوز لكم أخذه والتمتع فيه، ويقول الطبري((أتأخذون ما أتيتموهن من مهورهن بهتانا أي ظلمًا بغير حق)).

ب–الكذب:قال الله تعالى(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)أي لا يليق بنا أن نخوض في هذا الأمر؛ لأنه زور وكذب عظيم لايليق بالمسلم أن يمارسه ويتخلق به.

6- لفظ(الحبل) من المشترك اللفظي ومن معانيه في القرآن الكريم:

أ-القرآن: قال الله تعالى(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أي اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به، ولا تفرقوا عنه، أو اجتمعوا على التمسك بعهده إلى عبادته وهو الإيمان والطاعة((أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وآله:(القرآن حبل الله المتين: لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرته الرد ...) وفسرها ابن مسعود على أن((حبل الله هو القرآن)).

العهد والإسلام :قال الله تعالى (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ))(وحبل الله هو الإسلام وحبل الناس هو العهد)).

التضـــاد

أولاً: مفهوم التضاد:

-التضاد لغًة:

ما زلت أذكر أن الكلمات التي تستخدم مصطلحات في أي علم من العلوم، يكون للكلمة منها دلالة لغوية سابقة على دلالتها الاصطلاحية، وأن الدلالتين اللغوية والاصطلاحية بينهما صلة سَوَّغت لمن استخدموا الكلمة مصطلحًا أن ينتقلوا بها من دلالتها اللغوية إلى دلالتها الاصطلاحية.

جاء في لسان العرب في مادة " ضدد" :

" الضِّدّ كل شيء ضادَّ شيئًا ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك... ابن سيده : ضد الشيء وضديده وضديدته: خلافه ... والجمع أضداد، وقد ضادّه، وهما متضادان ... ابن الأعرابي : نِدُّ كل شيء مثله، وضده خلافه ".

يتضح من الدلالة اللغوية أن الضدين هما ما كان وجود أحدهما سببًا في عدم وجود الآخر (إذا جاء هذا ذهب ذلك)، فالموت سبب في عدم وجود الحياة، والليل والنهار أحدهما سبب في ذهاب أو عدم وجود الآخر، وإذاً فالضدان هما ما لا يجوز اجتماعهما في شيء واحد، في آن واحد، باعتبار واحد، فالرجل لا يكون كريمًا وبخيلًا إلا في وقتين مختلفين، أو

باعتبارين مختلفين؛ ففي حال الغنى يكون كريمًا وفي حال الفقر يكون بخيلًا مثلًا، وقد يكون كريمًا باعتبار بذل المال ، وبخيلًا باعتبار إنفاق العلم إن كان عالمًا.

إذًا فالضدان –لغةً– هما ما نقض أحدهما الآخر، كالهدم ينقض البناء، ولذلك يُعَبَّرُ أحيانًا عن الضدين بأن أحدهما نقيض الآخر، ورد في المعجم " جَدَّ الشيءُ يَجِدُّ جِدَّة بكسر الجيم فيهما صار جديدًا وهو نقيض الخَلْق" ، وورد : " والصَّعْب نقيض الذَّلول ، وورد : " واليَاسر نقيض اليامن أو هما(الضدان) ما كان أحدها بخلاف الآخر، كرجلين يجعل أحدهما ظهره إلى ظهر الآخر، أي خلفه إلى خلف الآخر، ولذلك يعبر أيضًا عن الضدين بأن أحدهما خلاف الآخر، ورد في المعجم : "والنعم خلاف البؤس، و"التوسيع خلاف التضييق، "واليسار خلاف اليمين.

وواضح من الدلالة اللغوية للأضداد أيضًا أن الضدين هما ما كانا بالنسبة للشيء الواحد على أقصى طرفيه، فالبياض بالنسبة للشيء الملَوَّن هو أقصى درجات اللون الفاتح والسواد هو أقصى درجات اللون الغامق؛ ولذلك فاللون الأخضر مثلًا لا يعد ضدًا للون الأبيض، لأنه (الأخضر) لا يمثل أقصى درجات اللون الغامق، ولا يعد ضدًا للون الأسود لأنه أيضًا لا يمثل أقصى درجات اللون الفاتح.

- التضاد اصطلاحًا:

ومن تعريفات القدامى:

التضاد مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف إلى معنيين متضادين، وأول إشارة إلى الأضداد نجدها عند قطرب(ت210ه) عندما شرح تقسيم أستاذه سيبويه، إذ نجده يذكر الأضداد ضمن المشترك اللفظي، قال:" ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون في الشيء وضده" .

-وعرفه أبو حاتم السجستاني(ت 255ه) بقوله:" فأما المعروف في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء"

-وعرفه أبو بكر بن الأنباري(ت 328ه) بأنه " الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين".

-وعرفه أبو الطيب اللغوي(ت 351ه)، فقال:" الأضداد جمع ضد وضد كل شيء ما نافاه، نحو: البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضّداً له ، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان، وليسا ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كل متضادين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"

–وقد وصف الدكتور محمد حسين آل ياسين أبا الطيب اللغوي بأنه من أدق الأضداديين تحديدًا للأضداد، وأنه بهذا التعريف أزال الإبهام والاضطراب عن فكرة التضاد التي هي أخص من الاختلاف في معناه العام، وعلى هديه سار المتأخرون والمحدثون في تعريفهم للأضداد،–وعرف السيوطيّ الأضداد بقوله:" الأضداد نوع من المشترك"·

<u>ومن تعريفات المحدثين:</u>

- – عرف الدكتور إبراهيم أنيس الأضداد بأنها " نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما في الألوان، فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح العلاقات في تداعي المعاني"

–وعرفه الدكتور رشيد العبيدي بأنه " (نوع من المشترك اللفظي) ولكنه يميل إلى تغيّر الدّلالة إلى ضدها بدلًا من أن يكون الخلاف جزئيًا كما هو الحال في(المشترك) ولذلك كان من الأسباب التي أدت إلى وجوده موضوع تغيّر الدلالات وتطورها"

ومما سبق نجد أن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة الأضداد واضحة، فالدلالتان اللغوية والاصطلاحية تدوران حول معنيين ضدين، غير أن الدلالة اللغوية تَرُدُّ المعنيين الضدين إلى لفظين (الليل والنهار، والبياض والسواد، والموت والحياة)، أما الدلالة

الاصطلاحية فترد المعنيين الضدين إلى لفظ واحد؛ وربما تكون الدلالة اللغوية للأضداد مطابقة للدلالة الاصطلاحية لما يعرف بالطباق في البلاغة العربية وهو دلالة لفظين على معنيين ضدين، أي ما يدل عليه لفظ، يدل لفظ آخر على ضده، كالميت والحي، فالميت مَنْ خرجت روحه من جسده، والحي من نفخت روحه في جسده.

ثانيًا- أسباب وقوع التضاد:

التضاد أمر واقع في اللغة، وشواهده – وإن كانت قليلة – تدل على ذلك. والسياقات اللغوية تكشف عن استخدام بعض الكلمات للدلالة على معنيين ضدين. أما وجود التضاد في اللغة فيرجع إلى الأسباب الآتية:

أ-اختلاف القبائل العربية:

اختلاف القبائل العربية يصاحبه – كما ذكرت من قبل – اختلاف في لغات هذه القبائل أو لهجاتها؛ فاختلاف الألفاظ الدالة على شيء واحد من قبيلة إلى أخرى أدى إلى وجود ما يعرف بالترادف، واختلاف المعنى الذي يدل عليه لفظ في قبيلة عن المعنى الذي يدل عليه اللفظ نفسه في قبيلة أخرى أدى إلى وجود ما يعرف بالاشتراك، وتضاد المعنى الذي يدل عليه لفظ في قبيلة للمعنى الذي يدل عليه اللفظ نفسه في قبيلة أخرى أدى إلى وجود ما يعرف بالتضاد.

إذًا فالتضاد مرده إلى أن " أحد المعنيين لحى من العرب، والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا : فالجون: الأبيض في لغة حي من العرب، والجون: الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين عن الآخر.

وقد عوّل المنكرون للتضاد على هذا السبب في رفضهم التضاد؛ لأن شرط التضاد عندهم : "أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة، أي أن القبيلة الواحدة يستخدم أبناؤها اللفظ الواحد بالمعنيين الضدين، وهذا عند المنكرين غير متحقق.

ومما أرجعه اللغويون من الأضداد إلى اختلاف القبائل كلمة "سمد" التي تعني "لها" في لغة أهل اليمن، و"حزن" في لغة طئ؛ والسّدفة التي تعني الظلمة في لغة تميم، والضوء في لغة قيس؛ ولمق التي تعني كتب الشيء في لغة عقيل، ومحا الشيء عند سائر العرب.

ب–التطور الصوتي للكلمات

التطور الصوتي يمكن أن يؤدي إلى تحول كلمتين مختلفتين لفظًا، متضادتين معنى إلى كلمة واحدة منهما، ثم تستخدم هذه الكلمة للدلالة على المعنيين المتضادين معًا.

– والتطور الصوتي الذي يؤدي إلى التضاد يأخذ شكلين:

(ا) –أحدهما الإبدال. (ب)–والآخر القلب المكاني.

أما الإبدال فيعني أن تكون الكلمتان المختلفتان لفظًا المتضادتان معنى – مختلفتين في صوت لغوي واحد، فيتطور هذا الصوت في إحدى الكلمتين إلى نظيره في الكلمة الأخرى، فتصبح كلمة واحدة، دالة على المعنيين الضدين معًا، المعنى الأصلي لها، ومعنى الكلمة الأخرى المتطورة.

ومن أمثلته الفعل لمق بمعنى محا الشيء، ونمق بمعنى كتب الشيء، حيث تطورت النون في نمق إلى لام، فصار الفعل لمق، فأشبه لمق الذي يعني محا، وأصبح لمق يطلق على المعنيين الضدين : محا (معناه الأصلي)، وكتب (معنى نمق المتطور إلى لمق) ومن أمثلته الفعل: أَسَرّ الذي يعني كتم وأظهر، أما دلالته على الكتمان فهي دلالته الأصلية، وأما دلالته على الإظهار فهي دلالة فعل آخر هو أَشَرَّ، الذي تطور إلى: أَسَرَّ، بإبدال الشين سيناً.وإبدال السين والشين أحدهما من الآخر له نظائر في اللغة، مثل جعسوس وجعشوش.

أما الشكل الثاني من أشكال التطور الصوتي، وهو القلب المكاني، فيعني أن تكون الكلمتان المختلفتان لفظاً، المتضادتان معنى –متفقتين في عدد الحروف ونوعها، غير أنها مختلفتان في ترتيب هذه الحروف فتتطور إحدى الكلمتين بتغيير ترتيب حروفها، بحيث تصبح على صورة الكلمة الأخرى في ترتيب حروفها، وتصبح الكلمتان (الأصلية والمتطورة) كلمة واحدة تطلق على المعنيين المتضادين على حد سواء؛ " ومن أمثلة ذلك قولهم : تلحلح بمعنى أقام وثبت، وبمعنى : زال وذهب، فإن هذا المعنى الثاني،

كان في الأصل لكلمة أخرى، هي تحلحل، ثم حدث قلب مكاني، فَقُدِّمَت اللام وأُخِّرَت الحاء، كما قالوا : جذب وحبذ د. أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية.

جـ-الاستعارة من اللغات الأجنبية:

لاشك أن اختلاط أبناء اللغات المختلفة، بعضهم ببعض، يؤدي إلى أن تستعير إحدى اللغات ألفاظاً من لغة أخرى، وبعض هذه الألفاظ يكون مشابهاً لألفاظ العربية، غير أن معنى اللفظ الأجنبي يكون مضاداً لمعنى اللفظ العربي، ومن أمثلة ذلك كلمة : بَسْل التي تطلق في العربية على الحلال، وتطلق في العبرية على الحرام، فلما استعارتها اللغة العربية دلت (بَسْل) على المعنيين المتضادين معاً (الحلال والحرام).

ويذكر بعض اللغويين أن لفظ جَلَل الذي يطلق في العربية على الشيء العظيم والشيء الهَيِّن، استعارتْه العربية من العبرية، "وهو فيها بمعنى دحرج، وإذا كان الشيء المدحرج ثقيلاً أحياناً، وخفيفاً أحياناً، فقد اعتمدت العربية على هذين الإيحاءين المتضادين للكلمة الواحدة، وأعطتها معنيين متضادين، هما: عظيم، وحقير" .

د-الاستعمال المجازي للألفاظ:

بعض الألفاظ يكون لها معنى واحد، وهذا المعنى يكون هو المعنى الحقيقي لها، غير أن المستخدمين لهذه الألفاظ يستخدمونها للدلالة على معنى ضِدِّ المعنى الذي تدل عليه،

من باب التفاؤل، أو التشاؤم، أو الاستهزاء والسخرية، أو التلطف والتأدب، أو درء الحسد؛ فيؤدي ذلك إلى دلالة اللفظ على معنيين ضدين : معناه الأصلي، ومعناه المجازي.

أما ما استخدم للدلالة على ضد معناه، من باب التفاؤل، فمنه : الناهل للعطشان، والناهل تدل في الأصل على الريان، ومنه : المفازة للصحراء المهلكة، والمفازة في الأصل المنجاة؛ والسليم للملدوغ، وهي في الأصل للصحيح، يقول أبو حاتم السجستاني:" وإنما قيل للعطشان: ناهل على سبيل التفاؤل، كما يقال : المفازة للمهلكة، على التفاؤل، ويقال للعطشان: يا ريان، وللملدوغ سليم، أي : سيسلم، وسَيْروَى، ونحو ذلك".

وفي العامية المصرية نلاحظ هذه الظاهرة – إطلاق اللفظ على ضد معناه تفاؤلًا – فحينما يصيب إنسانًا شرٌّ، يقول عن نفسه: أنا بخير، وإن أصيب بمرض، يقول : أنا بعافية شوية، وإن أصابه نقص، يقول أنا تمام، وهكذا.

وأما ما استخدم للدلالة على ضد معناه من باب التشاؤم، فمنه: الأبيض للأسود؛ تشاؤمًا من النطق بلفظ الأسود؛ والعرب يكنون الأسود بأبى البيضاء، وفي بعض البلاد العربية يطلقون على الفحم البياض، والعامة يقول أحدهم إذا سمع خبرًا غير سار: يا نهار أبيض

وأما ما استخدم لمعنى ضد معناه من باب السخرية والاستهزاء، فمنه : العاقل للجاهل، يقول ابن الأنباري: "ومما يشبه الأضداد قولهم للعاقل: يا عاقل، وللجاهل إذاا

استهزءوا به: يا عاقل"، وهذا أشبه شيء بقولنا: يا ذكي لمن ذكر شيئًا يدل على غبائه، وقولنا(في مصر): أبو العُرّيف لمن ذكر شيئاً يدل على جهله وضحالة ثقافته.

وأما ما استخدم على سبيل التلطف والتأدب، فمنه : البصير للأعمى تأدبًا مع من ابتلى بفقد بصره؛ ومنه: المولى للعبد، وهي تطلق على السيد.

وأما ما استخدم على سبيل درء الحسد، فمنه: البلهاء للمرأة الكاملة العقل، والبلهاء في الأصل الناقصة العقل، وإنما سميت العاقلة بلهاء درءًا للحسد؛ ومنه: الأعور للحاد البصر، والأصل أن الأعور لمن ذهبت إحدى عينيه.

هـ-تخصيص الدلالة العامة:

بعض ألفاظ الأضداد تكون دلالتها دلالة عامة، ثم تخصص هذه الدلالة تخصيصين متضادين؛ فكلمة الصرم مثلًا تعني الانقطاع عامة، ثم خصصت بانقطاع النهار من الليل، وبانقطاع الليل من النهار، فصارت تطلق على المعنيين المتضادين (النهار والليل)، وكلمة السُّدفة تعني الستر، ثم خصصت بستر النهار (بضوئه) لليل عند طلوع النهار، وستر الليل (بظلامه) للنهار عند حلول الليل، فصارت السدفة تطلق على المعنيين الضدين (الضوء والظلام).

ومن الكلمات التي خصصت دلالتها العامة : الصريخ، فهي تطلق على الصراخ عامة، ثم خصصت بصراخ المستغيث طلباً للإغاثة، وخصصت بصراخ المغيث طمأنة

للمستغيث؛ وكلمة الذفر تعني الريح عامة(طيبة أو منتنة) ثم خصصت بالريح الطيبة، وبالريح الخبيثة، فصارت تطلق على المعنيين الضدين : المسك (الريح الطيبة)، والنتن (الريح الخبيثة). وكلمة الطَّرَب تعني: خِفَّةً أو حالة ذهول تصيب الإنسان بسبب شدة الفرح، أو شدة الجزع ثم خصصت بالفرح مرة، وبالحزن مرة أخرى.

و–اختلاف الأصل الاشتقاقي:

وهذا يكون في الفعل الأجوف، حيث يكون أصل ألفه واوًا، أو أصل ألفه ياءًا، ولكن هذا الأصل يظهر في المضارع، ولا يظهر في صيغة الماضي لأن الواو والياء في الماضي تقلب كل منهما ألفًا؛ لانفتاحها وانفتاح ما قبلها، فالفعل : ضاع مثلًا، يدل على الاختفاء والظهور؛ أما دلالته على الاختفاء فمردها إلى اشتقاقه من : ضاع يضيع ضياغًا، وأصل ضاع هنا ضَيَعَ، فقلبت الياء ألفًا؛ وأما دلالته على الظهور فمردها إلى اشتقاقه من ضاع يضوع ضوعًا، وأصل ضاع هنا ضَوَع، فقلبت الواو ألفًا. والفعل ضاعَ هنا أشبه بالفعل : قال المشتق مرة من قال يقول قولاً، ومرة اخرى من : قال يقيل قيلولة، وإن كان الفعل قال ليس من الأضداد؛ لأن القول ليس ضداً للقيلولة.

ثالثًا: التضاد بين الإثبات والإنكار:

اختلف اللغويون في وقوع الأضداد في اللغة، اختلافهم في وقوع غيره من ظواهر لغوية، كالترادف والاشتراك؛ فمنهم من أقر ، ومنهم من أنكر.

أولًا: المقرون بالتضاد:

أقر كثير من اللغويين بوجود ظاهرة الأضداد في اللغة العربية، وقد خَصَّ بعضهم هذه الظاهرة بمؤلفات مستقلة، وجعلوا الأضداد عنوانًا لها، ومن هؤلاء العلماء – كما سبقت الإشارة – قطرب، والأصمعي، وابن السكيت، وأبو حاتم السجستاني، وأبو بكر بن الأنباري وأبو الطيب الحلبي، وابن الدهان، والصاغاني؛ وتناولها بعضهم مع موضوعات أخرى تحت عنوان : "باب تسمية المتضادين باسم واحد" .

وقد عُنِيَ المقرون بالتضاد بجمع الألفاظ الأضداد؛ إثباتًا للظاهرة من جهة، ودراسة لها بالوقوف على المعنيين الضدين لكل لفظ منها من جهة أخرى. وألفاظ الأضداد التي جمعها بعضهم لا تزيد – بعد غربلتها– على مائتي لفظ، وهو –على أية حال– عدد قليل، إذا قورن بالألفاظ المترادفة مثلًا، وهو عدد لا يمثل نسبة إذا قورن بألفاظ اللغة.

وقد ردَّ المثبتون للأضداد على مَنْ قال من المنكرين إن التضاد يؤدي إلى التعمية والغموض واللبس – بأن " كلام العرب يُصَحِّح بعضه بعضًا، ويرتبط أوله بآخره ... فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر.

وهذا ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بالسياق Context، ودوره غير مقصور على الأضداد، وإنما كل كلمة لا يتعين معناها بدقة إلا إذا كانت مستعملة in use، ومن ثم فلا صحة لما ادعاه المنكرون للأضداد.

إن كلمة جلل –مثلًا– وهي من الأضداد، فهي تعني العظيم، والحقير أو الهين، هذه الكلمة في قول لبيد:

كل شيء ما خلا الله جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل.

لا تدل إلا على معنى واحد، وهو المعنى الثاني (الحقير أو الهين)؛ لأن الله –عز وجل– عظيم، وكل شيء غيره يعد هينًا أو حقيرًا بالقياس إلى الخالق سبحانه وتعالى. وإذا قلنا – مثلًا – يوم القيام يوم جلل، فلا شك أن جلل هنا تعني "عظيم"، فقد قال الله عز وجل عن يوم القيامة، ﴿ ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

وقد ذهب المثبتون للأضداد إلى أنه "... من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد"، فليس بغريب إذًا وجود الألفاظ المتضادة، مثلها مثل الألفاظ المترادفة، "وذلك أن الذين رَوَوا أن العرب تسمي السيف مهندًا والفرس طرفًا، هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد

ومن المحدثين أيضًا من ذهب إلي وجود الأضداد في اللغة العربية ومن هؤلاء ناصر ياسر الزيدي حيث يقول:" إذا كان هناك من أنكر التضاد في اللغة فإننا لا نجد

لإنكاره دليلًا يعتد به، ولا حجة يصار عليها، وذلك أن رواة اللغة ذكروا ألفاظًا استعملها العرب في معنيين متضادين فقد كان أبو زيد الأنصاري يذهب مثلًا إلي أن " شمت السيف" عبارة ذات معنيين أحداهما غمدته، والأخرى سللته.

ثانيًا المنكرون للتضاد:

أما المنكرون للأضداد فهم ثلاث طوائف – كما قسمهم الدكتور آل ياسين– وذلك بحسب دوافعهم وأهدافهم في إنكار الأضداد، وهم:

الطائفة الأولى:

هم الشعوبيون وأهل الزيغ والإزراء بالعرب – كما يسميهم ابن الأنباري– فهم يطعنون بالعرب من ناحية إن وجود الأضداد في اللّغة هو دليل عدم الإبانة والغموض والاضطراب، وهذه الطائفة كانت سيئة النية في إنكارها للأضداد.

وهذه الطائفة لا نعرف عن مذهبهم شيئًا إلا ما ذكره ابن الأنباري في مقدمة كتابه في الأضداد، فقال:" ويضن أهل البدع و الزيغ والإزراء بالعرب إن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضع تأويله فإذا أعتور

اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطَب أيهما أراد المخاطِب، ويبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى"

وهذه فكرة مجملة عن إزراء هؤلاء الشعوبيين بالعرب من هذه الناحية، فلا ندري هل وضَعَ أحدهم كتابا في ذلك، أو هل سجلت آراؤهم ومناقشاتهم ونقلت عنهم، ومتى بالضبط كان ذلك ومن رجال هذا المذهب؟ .

الطائفة الثانية:

هم الذين أفادوا فكرة الإنكار من الأوائل ولكن لم تتوفر فيهم النية السيئة ولكنهم أرادوا أن يبطلوا الضدية بشكل من الأشكال, وهذه الطائفة أنكرت الأضداد وذهبت إلى تأويل المعنيين وإرجاعهما إلى أصل واحد، لعدم قناعتهم بأصل فكرة الأضداد، وهم يختلفون عن أصحاب الطائفة الأولى في دافعها إلى الإنكار، وذلك إنها لم تكن في عملها سيئة النية تجاه العربية، صحيح إن فيهم من هو فارسي كابن درستويه، إلا أن ذلك لا يعني توفر الروح الشعوبية في كل فارسي الأصل، وأصدق مثال على ذلك ابن فارس الذي دافع عن الأضداد، أضف إلى ذلك إن من هذه الطائفة من لا يشك في عربيته كثعلب وهو من هو في غيرته على اللّغة.

ويقف ابن درستويه(ت 347هـ) على رأس هؤلاء، ومن الأضداديين الذين ساروا على نهج ابن درستويه في إنكار الأضداد الحسن بن بشر الامدي(ت 631هـ) صاحب كتاب(الحروف من الأصول في الأضداد)، وثعلب(ت 291هـ)، إذ ذكر الجواليقي(ت 465هـ) أنه أنكر الأضداد ونقل عنه أنه قال:" ليس في كلام العرب ضد؛ لأنه لو كان فيها ضد لكان الكلام محالا، لأنه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض، وكلام العرب وان اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد"

ومن الذين أنكروا الأضداد أيضًا ابن دريد ت(321هـ) الذي كان يرى أن الأضداد لا تكون إلا في لغة واحدة، فقال:" الشعب الافتراق، والشعب الاجتماع، وليس من الأضداد، وإنما هي لغة قوم"

الطائفة الثالثة: هم المحدثون من العرب والمستشرقين الذين يحاولون تفسير نشأة الأضداد لإنكار ضدية اللفظ في وضعها الأول، تبرئة لها من عدم الإبانة الأصيل الذي اتهمها به أهل الزيغ والإزراء والشعوبيون، وحرصا على نقاء اللّغة من العيب الذي تطعن لوجوده فيها

وقد عدهم الدكتور آل ياسين طائفة ثالثة–مستقلة– من الطوائف القائلة بالإنكار لأنهم" يختلفون عن أولئك بأن إنكارهم للأضداد لم يكن بدافع النزعة الشعوبية التي تحاول الإزراء بالعرب كالطائفة الأولي.

كما إنهم لم يرجعوا جميع الأضداد إلى أصول واحدة كما فعلت الطائفة الثانية التي أنكرت وجود الأضداد في اللّغة".

ومن العرب المحدثون الذين أنكروا وجود التضاد:

عبد الفتاح بدوي، وهو أكثر الرافضين للأضداد تطرفًا وتوسعًا في رأيه، إذ أنكرها إنكارًا تامًا، فقال:" إننا لنتحدى الذين يزعمون إن في اللّغة أضدادًا ونباههم بجميع كلمات اللّغة العربية أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد، فإذا لم يفعلوا – ولن يفعلوا– فليس في اللّغة أضداد"

ومنهم الدكتور منصور فهمي الذي بحث الأضداد بمقالة ضافية مستوعبة إذ كان موقفه من الأضداد وسطًا بين إلغائها جميعًا وإثباتها جميعًا، فبعد أن درس مصادر الأضداد، وعرض لاختلاف الآراء في وقوعها ونقل بعض من آراء المنكرين والمدافعين، قال:" ويخيل إلينا إن الفريقين أسرفا فيما ذهبا إليه من المبالغة في إثبات الأضداد وفي إنكارها تمامًا، فأما الذين

أبطلوا الأضداد فعندنا إنهم غلوا فيما ذهبوا إليه، لوجود ألفاظ تشهد على التضاد فيما بين أيدينا من كتب اللّغة.

وأما الذين أثبتوا الأضداد بالغوا في عدها على نحو ما بينا، فقد انحرفوا عن جادة الصواب، ذلك لأن هناك كثيرا جدا من الألفاظ التي حشرت حشرا بين الأضداد بعد أن زيد في معناها زيادة لم تكن في أصل الوضع".

ومنهم الدكتور إبراهيم السامرائي إذ درس الأضداد دراسة مستفيضة في كتابه (التطور اللغوي والتاريخي)، فهو يرى أن الأضداد نتيجة التطور اللغوي التاريخي الذي يعمل بدأب ونشاط في تغيّر دلالة الألفاظ جميعها

وقد أورد السيوطيّ مجموعة من الأضداد في المزهر، إذ ذكر: إن الناهل في كلام العرب: العطشان، والناهل: الذي قد شرب حتى ارتوى، والسُّدفة في لغة تميم: الظلّمة، والسدفة في لغة قيس: الضوء، وبعضهم يجعل السّدفة اختلاط الضوء والظلمة معا، كوقت ما بين صلاة الفجر إلى الإسفار

كما أورد إن: الجون: الأسود، والجون: الأبيض، والمشيح: الجاد، والمشيح: الحذر، والجل: الشيء الصغير، والجلل: العظيم، والصارخ: المستغيث، والصارخ: المغيث، والإهماد: السرعة في السير، والإهماد: الإقامة

وذكر أيضًا: التِّلاع: مجاري الماء من أعالي الوادي، والتِّلاع: ما انهبط من الأرض، وأخَلْفتُ الرجل في موعده: قلت ولم أفعل، وأخلفته: وفقت منه خُلفا، والصَّريم: الصبح، والصَّريم: الليل، وعطاء بَثرُ: كثير، والبَثْر: القليل أيضًا.

والظنُ: يقين وشك، والرَّهوة: الارتفاع، والرَّهوة: الانحدار. و وراء تكون بمعنى خلف وقدام، وكذلك دون فيهما. وفرّع الرجل في الجبل: صَعِد، وفرّع: انحدر، ورَتوْتُ الشيء شددته وأرخيته

وأورد: أشكَيْتُ الرجل: أي أتيت إليه ما يشكوني، وأشكَيْته إذا أرجعت له من شكايته إلى ما يحب. وسواء الشيء: غيره، وسواؤه: نفَسْه و وسطه. وأطلبت الرجل: أعطيته ما طلب، وأطلبته: ألجأته إلى أن يطلب. وأسررت الشيء: أخفيته، وأعلنته، وبه فُسر قوله تعالى:﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾أي أظهروها. والخَشِيبُ: السيف الذي لم يحكم عمله، والخَشِب: الصقيل. وتهيَّبتُ الشيء، وتهيَّبني سواء. ولإقراء: الحيض، والإقراء: الإطهار. وأخفيت الشيء: أظهرته وكتمته. وشِمْتُ السيف: أغمدته وسَلْلتُه ·

وقد نبه السيوطيّ على ما أورده ابن دريد في الجمهرة من أن الشَّعْب الافتراق، والشَّعْب الاجتماع، وليس من الأضداد وإنما هي لغة قوم. قال العلاّمة السيوطيّ:" أفاد بهذا إن شرط الأضداد أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة"

وقبل أن أنهي الحديث عن الأضداد بقي أن نشير إلى مسألة، هي: هل الأضداد كانت موجودة في أصل الوضع اللغوي الأول؟

يرى السيوطيّ إن الأضداد لم تكن أصلا في اللّغة، وان الكلمة الواحدة من الأضداد لم تقع على المعنيين المتضادين في أصل الوضع وإنما هي من باب التداخل والاتساع و الاستعارة، فقد أورد إنه " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين محال أن يكون العربيُّ أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما" وقال:" إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع"

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب:" من الطبيعي إن الكلمة من كلمات الأضداد لم توضع للمعنيين المتضادين في أول الأمر، وإنما وضعت لأحدهما، ثم جّدت عوامل مختلفة، أدت إلى نشأة المعنى المضاد للمعنى الأول"

وذكر الدكتور آل ياسين إن التضاد ليس قديما في اللّغة بحيث يكون سنة من سنن الوضع عند العرب كما ذهب إلى ذلك ابن فارس(ت 395هـ)، وإنما هو حادث في كلام العرب بعد توحد القبائل وتداخل لهجاتها أو ميل المتكلمين إلى التفنن في الحديث والتملح فيه عن طريق المجاز والكناية، والتشبيه، فتثبت بعدئذ على شكل ظاهرة في الميراث اللغوي للعربية"

ويقول أيضا:" نحاول من دراسة هذه الظروف والدواعي التاريخية إلى إن التضاد ليس أصيلا في وضع اللفظة، ومادام كذلك فلا أضداد في اللّغة، وإنما ألفاظ اعتور كلا منها عامل من العوامل المختلفة فجعل منه ضد".

بهذا القدر في الحديث عن الأضداد، وما روي عنها من شواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية، وحين نحلل أمثلة التضاد في اللّغة العربية، ونستعرضها جميعا، ثم نحذف منها ما يدل على التعسف في اختيارها، يتضح أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل لغة، ومثل هذا المقدار الضئيل لا يستحق عناية أكثر من هذا، ولا سيما إن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللّغة، وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين بمرور الزمن .

الاشتقاق

إنَّ الاشتقاق هو إحدى الوسائل الرائعة التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع، ويزداد ثرائها، ويتغير بوساطته المعنى، وتنتقل به الدلالة وتتمكن من التعبير عن الأفكار والمستحدث من وسائل الحياة,وهو توليد بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد.

والاشتقاق في اللغة مظهر من مظاهر حيويتها وقدرتها على التطور والتجدد، كما إنه مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطبيعة في إرجاع الجزيئات إلى الكليات، وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع، وتتجلى في ذلك قدرة اللغة العربية في الربط والتصنيف في الألفاظ أو المعاني، وتطبع بذلك عقلية أصحابها بالطابع المنطقي.

والظاهرة الاشتقاقية موجودة في اللغات الأخرى ولكنها بارزة في اللغة العربية بروزاً خاصاً، يتضح هذا في كثرة الكلمات المشتقة من الجذر الواحد إلى حد يلفت النظر، إذ تصل الكلمات المشتقة من الجذر (علم) مثلا إلى مئة وعشرين كلمة.

فالاشتقاق يثري اللغة ويغنيها، ويشكل عنصرًا مهمًا من عناصر مرونتها وحيويتها إزاء التحديات التي تواجهها.

وللاشتقاق أثر كبير في تغير المعنى وانتقال الدّلالة فهو يقوم بتنمية اللغة بإعطاء المفردات معاني جديدة عن طريق توليد الألفاظ بعضها من بعض مع إبقاء نوع الرابطة بين المشتق والمشتق منه في اللفظ والمعنى، كما إنه وسيلة لمعرفة اللفظ المعرب من الأصيل، فالسرادق مثلاً ليس لها أصل في العربية إذ لا يوجد منها سردق، فنعرف من ذلك إنها ليست عربية.

ويمكننا القول إن اللغة العربية كالعرب أنفسهم تتجمع في قبائل وأسر معروفة الأنساب، وتحمل هذه الألفاظ دليل معناها واصلها وميسم نسبها وذلك في الحروف الثلاثية

الأصلية التي تدور مع ما يتولد عنها ويشتق منها من ألفاظ، وتختلف مفردات هذه المجموعات أو أسر هذه الألفاظ كثرة وقلة فهي كالقبائل منها المنجب والعقيم، والمكثر والمقل.

إن الألفاظ العربية تكثر ويتولد بعضها من بعض باستمرار وتؤدي بهذه الطريقة الحية وظيفتها في الحياة، إذ تقابل كل مولود جديد حسياً كان أو معنويًا بمولود جديد مثله من اللفظ من الأصول الموجودة والأرومات القائم .

ولا يحتاج المرء إلى كبير عناء لمعرفة هذه الألفاظ الجديدة ومعرفة قرابة الألفاظ ونسبها وارتباط بعضها ببعض لأن ذات الأصل الواحد تشترك بالأصوات الثلاثة الأولى. وقد يشتبه لتغير صوتي طارئ قد يخفى ويدق ولكنه سرعان ما يظهر على قلة هذه المشتبهات، ومثال ذلك (التقوى فهي من الوقاية)و(التراث من الورث) و(المناد من الأود) و(تجاه من الوجه) و(سيان من سوى)، أما في اللغات الأخرى فأن المشتبهات هي الأصل والغالب الشائع.

الاشتقاق عند السيوطي:

ولأهمية الاشتقاق وأثره البالغ في تغير المعنى وتبدل الدّلالة أفرد له السيوطيّ بنوع مستقل في كتابه المزهر سماه (معرفة الاشتقاق), وذكر في تعريفه: هو" أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادةً أصلية، وهيئة تركيب لها، ليُدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفتا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب، وحَذرٌ من حَذِر".

كما ذكر إن الاشتقاق من" اغرب كلام العرب، وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه أُتي جوامع الكَلِم، وهي جمعُ المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، فمن ذلك قوله فيما صح عنه: يقول الله: أنا الرحمن خلقت الرُّحم وشققت لها من اسمي. وغير ذلك من الأحاديث".

والاشتقاق هو الطريق إلى حسن فهم اللغة والتفقه فيها ومعرفة أسرارها والدخول إلى عالمها الخاص فإنه يربط الألفاظ ويصل بين معانيها، فمثلاً إن معرفة مادة(ر ب و) تكلفا على حقيقة معاني (الربا والربوة) وصلتها بمادة (ر ب ب) ومنها: التربية والرب والمربي) وفيها جميعًا معنى الزيادة والنماء. وبذلك بين الصورة المتماثلة والمعاني المتشابهة فيفسر بعضها بعضًا ويثير الواضح منها الغامض والحسي المعنوي.

أنواع الاشتقاق:

الاشتقاق على نوعين: الصغير والكبير، وأضاف إليه ابن جني(ت 392هـ) نوعًا ثالثًا اسماه الاشتقاق الأكبر وبعض الباحثين يضيف إلى هذه الثلاثة نوعاً رابعًا هو الاشتقاق الكبار أو النحت

1- الاشتقاق الصغير:

ويسمى العام أو الصرفي، وهو نزع لفظ من لفظ آخر أصل منه بشرط اشتراكهما في المعنى والأحرف والأصول وترتيبها، كأن يشتق من المصدر (على رأي البصريين) .

وعرفه ابن جني، فقال:" هو ما بأيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه

معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم، وسليم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ، أُطلق عليه تفاؤلا...".

وعرفه السيوطي عندما ذكر التعريف العام للاشتقاق وهو:" أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادةً أصلية، وهيئة تركيب لها، ليُدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفتا حروفا أو هيئة، كضارب من ضرب، وحَذرٌ من حَذِر"، ثم وصفه فقال:" وهذا هو الاشتقاق الأصغر".

وقال السيوطي إن" طريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة، حتى يرجع منها إلى صيغ هي أصل الصِّيغ دلالة واطراداً أو حروفاً غالباً، كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب، ومضروب، ويَضْرب، واضْرِب، فكلُّها أكثر دلالة وأكثر حروفًا، وضرَب الماضي مساوٍ حروفاً وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها" وقد وصف السيوطي هذا النوع من الاشتقاق بأنه هو الذي يحتج به.

وهذا النوع هو المعني عند الإطلاق، ولهذا يطلق عليه: (الاشتقاق العام) أو (الاشتقاق الصرفي) لأنه الذي تتصرف الألفاظ عن طريقه، ويشتق بعضها من بعض، ومعنى هذا افتراض الأصالة في بعض الألفاظ، والفرعية في بعضها الآخر.

وهذا النوع من الاشتقاق قياسي، إذ لا يعقل أن يسمع عن أصحاب اللغة جميع المشتقات في كل مادة من مواد اللغة" فكثير من تلك الصيغ التي يجوز اشتقاقها، لا وجود لها فعلاً في نص صحيح من نصوص اللغة، فهناك فرق كبير بين ما يجوز لنا اشتقاقه من صيغ، وما اشتق فعلا، واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل اسم فاعل، أو اسم مفعول، مرويين في نصوص اللغة، فقد لا يحتاج

المتكلم أو الكاتب إلى كليهما من فعل من الأفعال، فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها وقد يسبق بعضها بعضاً في الوجود"

ويخالف في هذا بعض قدامى اللغويين كابن فارس(ت 395هـ) الذي يرى إنه لا يقاس على كلام العرب في الاشتقاق، وإن كلام العرب كله توقيف، قال:" فإن الذي وقفَّنَا على إن الاجتنان: الستر، هو الذي وقفَّنا على إن الجنَّ مشتقٌّ منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فسادَ اللغة وبُطْلان حقائقها"

وقد وصف الدكتور رمضان عبد التواب هذا القول بالغلو والإسراف في منع القياس على ما اشتقته العرب، علاوة على ما فيه من فساد الاعتقاد باشتقاق المعنوي من الحسي، فإن (الاجتنان) مأخوذ من (الجنَّ) وليس العكس.

وقال السيوطي إنه اختلف في الاشتقاق الأصغر،" فقال سيبويه، والخليل، وأبو عمرو، وأبو الخطاب، وعيسى بن عمر، والأصمعي، وأبو زيد، وابن الأعرابي، والشيباني، وطائفة: بعضُ الكَلِم مشتقٌّ، وبعضُه غيرُ مشتقّ. وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين: كلُّ الكلم مشتقٌّ، ونُسِب ذلك إلى سيبويه والزّجاج، وقالت طائفة من النظار: الكلم كلُّه أصلٌ".

وقد اعترض السيوطي على قول الفريق الثاني(طائفة المتأخرين اللغويين) ولم يعدّ قولهم قولاً يُعتد به، ودعم رأيه بحجج منطقية، فقال:"والقول الأوسط تخليط لا يعدُّ قولاً، لأنه لو كان كل منها فرعا للآخر لدار أو تسلسل، وكلاهما محال، بل يلزم الدَّور عيناً، لأنه يثبت لكل منها أنه فرع، وبعض ما هو فرعُ لابدَّ أنه أصل، ضرورةَ أن المشتقَّ كلَّه راجع إليه أيضاً. لا يقال: هو أصلٌ وفرع بوجهين، لأن الشرط اتحاد المعنى، والمادة، وهيئة التركيب، ومع أن كل منها حينئذ مفرَّع عن الآخر بذلك المعنى".

وهذا النوع من الاشتقاق هو أكثر الأنواع وروداً في اللغة، وأكثرها أثراً في تغير المعنى ومدلول الكلمة، كما يعد الوسيلة الأهم من وسائل تنمية اللغة وإثرائها، فاللفظة الواحدة يمكن أن نشتق منها ألفاظاً عديدة، فكتب يمكن أن نشتق منه: يكتب، نكتب، اكتب، تكتب، كاتب كاتبة، كتبة، مكتبة، مكتب، مكتوب، مكاتيب، كُتَّيب، كُتَّاب، كتاتيب...وبذلك فإن الاشتقاق الصغير يسهم إسهاماً كبيراً في تنمية مفردات اللغة وتغيّر دلالاتها لتواكب التقدم الحضاري والعمراني الذي يجد على الساحة العربية.

" فما يسمى بالاشتقاق العام ليس في الحقيقة إلا نوعاً من التوسع في اللغة يحتاج إليه الكاتب، وتلجأ إليه المجامع اللغوية للتعبير عما قد يستحدث من معان، مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي.

وليس مثل الأصوات في هذا النوع من الاشتقاق إلا مثل مواد البناء التي منها قد تؤسس العمارة والقصر والسجن، أو كتلك المعادن التي تصنع منها الطائرات والسيارات والقنابل والساعات...الخ".

وذكر العلامة السيوطي إن التغيرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة عشر، هي:

الأول– زيادة حركة، كعِلم وعلَم.

الثاني– زيادة مادة، كطالب وطلب.

الثالث– زيادتهما، كضارب ضرب.

الرابع– نقصان حركة، كالفرس من الفرس.

الخامس– نقصان مادة، كثبت وثبات.

السادس– نقصانهما، كنَزَا ونزوان.

السابع– نقصان حركة وزيادة مادة، كغضبى وغضب.

الثامن– نقص مادة وزيادة حركة، كحرم حرمان.

التاسع– زيادتهما مع نقصانهما، كاستَنْوَق من الناقة.

العاشر– تغاير الحركتين، كبَطِر وبَطَرا.

الحادي عشر– نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف، كاضْرِب من الضرب.

الثاني عشر– نقصان مادة وزيادة أخرى، كرضاع من الرّضاعة.

الثالث عشر– نقص مادة وزيادة أخرى وحركة، كخفاف من الخوف، لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب.

الرابع عشر– نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط، كعِدْ من الوَعْد، فيه فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة.

الخامس عشر– نقصان حركة وحرف وزيادة حرف، كفاخَر من الفخار، نقصت الألف، وزادت ألف وفتحة.

وقال السيوطي:"إذا تردّدت الكلمة ين أَصلين في الاشتقاق طلب الترجيح، وله وجوه:

أحدهما– الأمكنية: كمَهْدَد علما من الهد أو المهد، فيرد إلى المهد، لأن باب كرم أمْكنُ وأوسع وأفصح وأخفّ من باب كرّ فيرجح بالأمكنية.

الثاني: كون أحد الأصلين أشرف، لأنه أحق بالوضعِ له والنفوس أذكر له وأقبل، كدوران كلمة(الله) – فيمن اشتقّها– بين الاشتقاق من أَلِه أو ولوه أو وَلِه، فيقال: من ألـه أشرف وأقرب.

الثالث– كونه أظهر وأوضح، كالإقبال والقبل.

الرابع– كونه أخص فيرجّح على الأعم، كالفضل والفضيلة، وقيل عكسه.

الخامس– كونه أسهل وأحسن تصرفاً، كاشتقاق المعارضة من العرض بمعنى الظّهور أو العُرضْ وهو الناحية، فالظهور أولى.

السادس– كونه أقرب، والآخر أبعد، كالعُقار يردّ إلى عَقْر الفهم لا إلى أنها تسكر فتعقر صاحبها.

السابع– كونه أليق، كالهِدَاية بمعنى الدّلالة لا بمعنى التقدّم، من الهوادي بمعنى المتقدمات.

الثامن– كونه مطلقاً فيُرجْح على المقيّد، كالقُرْب والمقاربة.

التاسع– كونه جوهرًا والآخر عرضًا الا يصلح للمصدريّة، ولا شأنه أن يشتقَّ منه، فإن الردَّ إلى الجوهر حينئذ أولى، لأنه الأسبق، فإن كان مصدراً تعيَن الردُّ إليه، لأن اشتقاق العرب من الجوهر قليل جداً، والأكثر من المصادر، ومن الاشتقاق من الجوهر قولهم: استَحْجَر الطين، واستَنْوق الجمل.

2- الاشتقاق الأكبر: ويسمى (القلب):

وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف نحو: جذب جبذ، وحمد ومدح، واضمحلّ وامضخل..."

وأول من أهتم بهذا النوع من الاشتقاق ابن جني(ت 393ه) فقد ولعَ به وسماه في كتابه (الخصائص) بهذا الاسم، في باب طويل بعنوان (باب في الاشتقاق الأكبر).

فقال:" هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير إن أبا علي رحمه الله، كان يستعين به ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، ولكنه مع هذا لم يسمه. وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن".

ثم قال في تعريفه:" هو أن تأخذ أصلاًَ من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحد، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك ردَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد.

وعرفه العلامة السيوطي بأنه: هو الذي" يحفظ فيه المادة دون الهيئة، فيجعل من (ق و ل) و (ول ق) و(و ق ل) و(ل ق و) وتقاليبها الستة،بمعنى الخفة والسرعة".

ومن الشواهد التي يوردها ابن جني على هذا النوع من الاشتقاق تقليب (ج ب ر) " فهي أين ما وضعت للقوة والشدة، منها:(جبرت) العظم والفقير، إذا قويتهما، وشددت منهما، والجَبر: الملْك لقوته وتقويته لغيره، ومنها(رجل مجرب) إذا جرسته الأمور ونجّذته، فقويت مُنّته، واشتدت شكيمته، ومنه(الجراب) لأنه يحفظ ما فيه... ومنها(الأبجر والبُجْرة) وهو

القوي السرة... ومنه (البُرْج) لقوته في نفسه وقوة ما يليه به...ومنها(رجّبت الرجل) إذا عظمته وقويت أمره، ومنه(رجب) لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرُّجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به، والراجبة: أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها".

وقد نبه الدكتور رمضان عبد التواب على ضرورة عدم الخلط بين الاشتقاق الأكبر، وطريقة التقليبات المعروفة في معجم (العين)، ومن نهج نهجه، قال:" فالتقليبلت هناك طريقة للإحصاء. ولميحاول الخليل ولا غيره من أصحاب المعاجم، أن يرجعوا تقاليب المادة اللغوية المختلفة إلى معنى واحد كما فعل ابن جني. ولكن لعل فكرة كتاب (العين) هي التي أوحت إلى ابن جني بموضوع الاشتقاق الأكبر".

وهذا النوع من الاشتقاق له دور في تنمية ألفاظ اللغة وتغير المعنى، ولكنه دور أقل أهمية من دور الاشتقاق الصغير.

وقد وقف علماء اللغة العرب من الاشتقاق الأكبر ثلاثة مواقف، فأيده فريق وبالغ في تأييده، ومنهم الزجاج(ت) الذي كان يرى:" إن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى، فإن إحداهما مشتقة من الأخرى، فتقول: الرّحِل مشتقة من الرحيل، والثور إنما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد إن كان غزلاً"

وقد أنكر فريق آخر هذا النوع من الاشتقاق، منهم السيوطي، فقال:" وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة، ولا يصح أن يُستنبط به اشتقاقٌ في لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده

ورده المختلفات إلى قدرٍ مشترك، مع اعترافه وعِلْمِه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وأن تراكيبها تفيد أجناسًا من المعاني مغايرة للقدر المشترك، وسبب إهمال العرب وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلةٌ، وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى، فخصُّوا كل تركيب بنوع منها، ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة، ولو اقتصروا على تغاير المواد، حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب، لمنافاتهما لهما، لضاق الأمر جدًا، ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها، بل فرقوا بين مُعْتِق ومُعْتَق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدين.

وهذا ما فعلوه أخصر وأنسب وأخف، ولسنا نقول: إن اللغة أيضاً اصطلاحية، بل المراد بيان أنها وقعت بالحكمة كيف فرضت، ففي اعتبار المادة دون هيئة التركيب من فساد اللغة ما بينت لكَ، ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها، ولكن التحيل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب العَنقْاَء مُغرب، ولم تُحْمل الأوضاع البشرية إلا على فهوم قريبة غير غامضة على البديهية، فلذلك إن الاشتقاقات البعيدة جدًا لا يقبلها المحققون.

كما إن ابن جني قد أعترف بأن هذا الاشتقاق صعب التطبيق على جميع نصوص اللغة، فقال:" وأعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك متعذراً صعباً، كان تطبيق هذا وإحاطته، أصعب مذهبًا وأعز ملتمسًا".

وقد أيد الدكتور إبراهيم أنيس السيوطي في إنكاره لهذا الاشتقاق، ووصف ابن جني بالتكلف والتعسف، لأنه إن" استطاع في مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم

بضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال أنها في جمهرة ابن دريد تصل إلى أربعين ألفًا، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفًا، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر".

وقال:" لقد غالى ابن جني في هذا ومعه الثعالبي صاحب فقه اللغة، إذ جعلا مجرد الاشتراك في أصلين من الأصول الثلاثة دليلاً على الاشتراك في معنى عام لبعض الكلمات".

كما أيدَ الدكتور عبده الراجحي العلامة السيوطي في هذا الإنكار فقال:" ويبدو أن الحق في جانب السيوطي لأن محاولة الوصول إلى قدر مشترك من المعاني بين تقاليب اللفظ الواحد لا يعدو إن يكون (صنعة) اشتهر بها أبو الفتح في تحليله لبعض الظواهر اللغوية".

ولى ذلك ذهب الدكتور محمد مبارك إذ عدَّ الأمثلة المذكورة في هذا النوع من الاشتقاق من باب القلب اللغوي، أي تبديل مواقع الحروف مثل: مدح وحمد.

والفريق الثالث هو الذي وقف موقفاً وسطاً بين الفريقين، منهم الدكتور صبحي الصالح، الذي كان أكثر حذراً وتحرزاً، وقد ردَّ بعض الأمثلة إلى اختلاف اللهجات، فجذب حجازية، وجبذ تميمية .

وقال: فإن يك في وسعنا أن نرجع من هذه التقاليب إلى ضرب من اختلاف اللهجات، وقد تحدثنا عنها فأطلنا الحديث، فهل نحكم على القلب اللغوي بقلة الجدوى؟ وهل نرى كل ما في

الاشتقاق الكبير من عبث الهواة؟ وهل نعرض عن هذا اللون من البحث اللغوي الممتع لأنه لا يطرد ولا ينقا؟

ومن هذا الفريق الدكتور رمضان عبد التواب الذي رفض النقد الذي وجهه القدماء والمحدثون إلى ابن جني حول هذا النوع من الاشتقاق، فقال– بعد أن نتقل كلام ابن جني الذي يعترف فيه بأن الاشتقاق الأكبر صعب التطبيق– :" إن ابن جني يعد مقبولاً ومعتدلا، حين يحاول إرجاع المادة، إلى أصل ثلاثي يحمل المعنى العام لهذه المادة، إذا قيس بما يذهب إليه بعض المحدثين، من فكرة ثنائية الأصول، وأن المعنى العام للمادة يرتبط بأصلين اثنين من أصولها".

والذي يبدو لي إن الفريق الثالث هو أقرب الفرق موافقة لطبيعة اللغة المرنة، إذ ليس من المنطق اللغوي أن نقبل كل ما جاء به ابن جني من تقليبات لجذور لغوية وأدعى فيها وحدة المعنى، فإن مما ذكر لا يتضح فيه المعنى العام والجامع لها على أصل واحد. كما إنه ليس بوسعنا أن نرفض كل تلك المادة اللغوية القيمة والممتعة في البحث اللغوي، ويمكننا القول: إن بحث الاشتقاق الأكبر" يؤتي ثمره كل يوم... وإن لغويون العرب لم يعرفوا إنتاجا أعظم منه".

الاشتقاق الكبير:

ويسمى(الإبدال) وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو: نعق ونهق أو هو: ارتباط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات أنفسها، بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته. وحينئذ متى وردت تلك المجموعات الصوتية

على ترتيبها الأصلي، فلا بد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت بأصواتها نفسها أم استعاضت من هذه الأصوات، أو بعضها بحروف أخرى تقارب مخرجها الصوتي، أو تتحد معها في جميع الصفات.

واختلف العلماء حول هذا النوع من الاشتقاق أيضاً، فعده بعضهم اشتقاقاً وأخرجه بعضهم من دائرة الاشتقاق.

أما العلامة السيوطي فلم يعده من الاشتقاق بل هو عنده لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا تختلفا إلا في حرف واحد ، فهو يرى إن الإبدال ليس سوى ظاهرة صوتية تقوم على استبدال بعض الحروف ببعضها الآخر، وقد ذكر السيوطي هذا القول – نقلًا عن أبي الطيب اللغوي– في نوع الإبدال، وبذلك لم يعدّه من الاشتقاق، وكان يراه من الاشتقاق لذكره في نوعه.

وإلى ذلك ذهب الدكتور إبراهيم أنيس، فقال:" حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعًا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمات ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يتجاوز حرفًا من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه. ودراسة الأصوات كفيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها. أي أن القرب في الصفة أو المخرج شرط أساسي في كل تطور صوتي".

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكـــــــــريم.
- أبحـاث ونصـوص فـي فقـه اللغـة العربيـة،د. رشـيد العبيـدي، مطبعـة التعلـيم العـالي، بغداد1988م.
- الإتقـان فـي علـوم القـرآن، جـلال الـدين السـيوطي، تقـديم وتعليـق: محمـد شـريف سـكر، مراجعة: مصطفي القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987م، ج2.
- إرشـاد الفحـول علـي تحقيـق الحـق مـن علـم الأصـول، محمـد بـن علـي الشـوكاني، تحقيق،: سامي العربي الأثري، ط1، دار الفضيلة، الرياض1421هـ-2000م.
- الاشـتراك اللفظـي فـي القـرآن الكـريم بـين النظريـة والتطبيـق، محمـد نـور الـدين, دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1999م.
- أصـول السرخسـي، السرسـجي، تحقيـق: ابـي الوفـاء الأفغـاني، د ط، دار المعرفـة، بيروت، لبنان، د ت، ج1.
- الأضداد في اللغة، د: محمد حسين آل ياسين، جامعة بغداد، ط1، 1974م.
- الأضـداد فـي كـلام العـرب، أبوالطيـب عبـد الواحـد بـن علـي اللغـوي(ت 351هـ)، تحقيـق: عزت حسن، دمشق، 1963م.
- الأضـداد، أبـوبكر ابـن الأنبـاري(ت 328هـ)، تحقيـق: أبوالفضـل إبـراهيم، طبعـة الكويت، 1960م.

- الأضداد، محمد بن المستنير قطرب(ت210هـ)، تحقيق: حنا حداد، الرياض، 1984م.
- البغداديات، أبوعلي الفارسي، دراسة وتحقيق: صلاح الدين السنكاوي، الكتاب الحادي والخمسون، مطبعة العانين بغداد، د ط.
- الترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي, وزارة الثقافة والإعلام, دار الحرية للطباعة, بغداد, 1980م.
- تصحيح الفصيح، عبد الله بن جعفر بن درستويه(ت347ه), تحقيق: د. عبدالله الجبوري, مطبعة الرشاد, بغداد 1975م, ج1.
- التعريفات، الشريف محمد بن علي الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1403ه-1983م.
- ثلاث كتب في الأضداد، للأصمعي وللسجستاني ولأبن السكيت، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- جلال الدين وأثره في الدراسات اللغوية، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة،
- الخصائص، لابن جنى، تحقيق الشيخ: محمد علي النجّار، ط دار الكتاب العربى ، بيروت، ج1.
- الدراسات اللغوية عند العرب حتي نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد حسين آل ياسين، بيت الحكمة، الموصل، د ت.
- الشبكة العنكبوتية.

- دراسات فى اللغة العربيّة، د. فتحى محمد جمعة، ص 3، ط 1407 هـ/ 1987 م.
- دراسات فى فقه اللغة ، د. ميمى الصالح، دار العلم ، بيروت، ط1989م.
- دراســـات فـــي فقـــه اللغـــة، د.صـــبحي الصـــالح، دار العلـــم للملايين،بيـــروت، ط7، 1983م.
- دروس في فقه اللّغة، محاضرات د. نعمة رحيم العزاوي, جامعة بغداد 1990م.
- ديوان الحطيئة ، دار صادر, بيروت, 1964م.
- أصـــول السرخســـي، السرخســـي، تحقيـــق: ابـــي الوفـــاء الأفغـــاني، د ط، دار المعرفـــة، بيروت، لبنان، د ت، ج1.
- الصـاحبي فـي فقـه اللغـة العربيـة، ومسـائلها وسـن العـرب فـي كلامهـا ، أبـو الحسـن أحمـد بـن فـارس ابـن زكريـا، تعليـق: احمـد حسـن بسـن، دار الكتـب العلميـة، بيـروت ، ط1، 1997م.
- الطـراز المتضـمن لأسـرار البلاغـة وعلـوم حقـائق الإعجـاز، الإمـام يحـي بـن حمـزة العلـوي(ت 749هـ)، مراجعـة وضـبط وتـدقيق: محمـد عبـد السـلام شـاهين، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر،ط1،دار العروبة، 1982م.
- علـم الدلالـة، بـالمر، ترجمـة، محمـد عبـد الحلـيم الماشـطة، جامعـة المستنصـرية، بغـداد، 1985م.

- علـم اللغـة بـين التـراث والمعاصـرة –د. عـاطف مـدكور، دار الثقافـة بالقـاهرة، ط 1987م.
- علـم اللغـة بـين التـراث والمنـاهج الحديثـة، د. محمـود فهمـي حجـازي, المكتبـة الثقافيـة, القاهرة, 1970م.
- علم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار حامد هلال، ط ثانية 1986م.
- علم اللغة، د.عبد الصبور شاهين، مؤسّسة الرسالة، ط5 ، 1408 م / 1988 م.
- الفـروق فـي اللغـة، أبـو هـلال العسـكري(ت 395ه), تحقيـق: لجنـة إحيـاء التـراث العربي, دار الآفاق الجديدة , بيروت, ط4, 1987م.
- الفـروق فـي اللغـة، أبـو هـلال العسـكري، تحقيـق: لجنـة إحيـاء التـراث، دار الأفـاق الجديدة، بيروت،ط4، 1987م.
- فصول في علم الأصوات، د، ناصر علي عبد النبي، مكتبة الآداب 2013م.
- فصـول فـي فقـه اللغـة, للـدكتور رمضـان عبـد التـواب، دار روتـل برتنـت, ط1, القـاهرة 1977م.
- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط7، 1973م.
- فـي اللهجـات العربيـة القديمـة، د. إبـراهيم أنـيس, مكتبـة الأنجلـو المصـرية, القـاهرة, ط4, 1973م.
- لسان العرب، لابن منظور(ت911ه) مادة (ردف)، ج6.

- اللغة بين الفرد والمجتمع ل (جسبرسن)، ترجمة د.عبد الرحمن أيوب– مكتبة الأنجلو المصرية – 1954م، ج1.
- اللغة بين القومية والعالميّة ، د، إبراهيم أنيس ، ص 11 ، دار المعارف بمصر ، ط 1970 م.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد، أبوالعباس المبرِّد، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس، بن زكريا، مادة(ش ر ك) ج3.
- مقدمة في علوم اللغة، د. البدراوي زهران ، دار المعارف بمصر، ط 2، 1979م.